موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(١٥)

تفريج الكربات

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٢٠٠-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٥)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٢٠٠-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٥)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
تفريج الكربات لغةً	٧
تفريج الكربات اصطلاحًا	٨
أهمية تفريج الكربات الاجتماعية	٨
إغاثة الملهوف	٣١
رعاية اليتامى	٤٥
السعي على الأرامل	٥٠
رعاية المرضى والمعاقين	٥٣
عون المظلوم	٥٨
عون الأسير والسجين	٦٣
عون الخادم والمملوك	٦٩
الفهارس	٧٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

تفريج الكربات في الذروة من مكارم الأخلاق، والقيم الاجتماعية الرفيعة، وموضوعها يتعلق بفئات عدة من طبقات المجتمع، في كلّ زمان ومكان، فكم من مظلوم، يتجرع غصص الذل والهوان؛ ينتظر الفرج من إنسان شهم كريم، يرفع عنه ظلامته، ويرد له حقه، ويعيد له كرامته، وكم من مريض يتلوى ألمًا ووجعًا، فينهض رجل نبيل، فيؤمن له العلاج والدواء مما يكون سببًا في صحته ومعافاته، وإبعاد شبح الموت عنه.

وكم من يتيم فقد والديه، ففقد بفقدهم العطف والحنان والرأفة، وفقد المعيل والمربي، فعاش وحيدًا شريدًا بائسًا! فهو بحاجة ماسة إلى من يرعاه ويتكفّله، ويؤمن له حاجاته المادية والمعنوية، ويعوضه عن حنان والديه، فيعيد البسمة إلى شفتيه، والسعادة إلى قلبه.

وثمّ أناس وقعوا في بلاء عظيم، وحلّ بهم كرب شديد، وأصابتهم داهية دهماء، فاهتموا لذلك واغتموا، وأظلمت الدنيا في أعينهم، وتسرب اليأس إلى نفوسهم، وتطرق القنوط إلى قلوبهم، فسئموا الحياة، وبينما هم على هذه الحالة من البؤس والشقاء والحيرة، إذ يهب لنجدتهم من يفرج عنهم كربهم، ويبدد عنهم مصائبهم، ويزيح عنهم هذه الكوابيس القاتلة، فتعود الدنيا لتشرق في عيونهم، والحياة لتحلو في نفوسهم.

وهناك من يقع تحت وطأة ضائقة مادية أو معنوية، فيكون انتشاله مما هو فيه بواسطة يد حانية تمتد إليه، فيجد فيها برد الراحة والسعادة، وتكون بمثابة الغيث للأرض الظمأى.

فمعونة الآخرين ومساعدتهم، والتفريج عن مكروبيهم، وإغاثة ملهوفيهم، أمر له قيمة كبيرة في العلاقات الإنسانية، مما يجعله يمثل قيمة من القيم السامية ومكرمة من مكارم الأخلاق على مدى العصور والأجيال.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

تفريج الكربات لغة:

يَرِدُ جذر (ف ر ج) في اللغة بمعنى الكشف والانفتاح والسعة، جاء في المصباح المنير[1]: «فرجت بين الشيئين فَرْجًا فتحت، وفَرَجَ القوم للرجل فَرْجًا أيضًا أوسعوا في الموقف والمجلس، وذلك الموقف والموضع فُرْجَةٌ والجمع فُرَج»، وفيه أيضًا[2]: «والفَرْجَةُ مصدر يكون في المعاني وهي الخلوص من شدة»، قال الشاعر:

رُبَّما تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ـرِ لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ

وفي القاموس المحيط[3]: «فَرَجَ الله الغم يَفْرِجُه: كشَفَهُ، كَفَرَّجه».

أما جذر كرب فمن معانيه الشدة والحزن، جاء في القاموس المحيط [4]: «الكرب: الحزن يأخذ بالنفس، كالكُربة، وكربه الغم فاكترب، فهو مكروب وكريب»، وفيه أيضًا[5] «الكريبة: الداهية الشديدة» وفي المصباح المنير[6]: «رجل مكروب: مهموم».

ومن مقارنة هذين الجذرين نجد أن «تفريج الكربات» يعني إزالة هموم المهمومين، وكشف ما بهم من ضيق وشدة.

---

(1) الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، ص ٤٦٥ (فرج).

(2) المصدر السابق.

(3) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٢٥٧ (فرج).

(4) المصدر السابق، ص ١٦٦ (كرب).

(5) المصدر السابق، ص ١٦٧ (كرب).

(6) الفيومي: المصباح المنير، ٥٢٩ (كرب)

www.mtenback.com

تفريج الكربات اصطلاحًا:

المعنى الاصطلاحي (تفريج الكربات) مطابق للمعنى اللغوي، فهو يعني مد يد العون لإنسان وقع في ضيق، أو محنة شديدة، وضاقت به السبل، واشتدت به الكرب، فَيَنْهَض شخص لمساعدته بشتى الوسائل والسبل، حتى ينقذه مما هو فيه، ويزيل عنه ما أهمه وأغمه، ويجلب له الارتياح والسرور.

أهمية تفريج الكربات الاجتماعية:

إن تفريج الكربات ضرورة حتمية أملتها الحياة الاجتماعية، وتفاوت الطبقات في أي تجمع بشري، وهذه سنة أرادها الله عز وجل لكل المجتمعات في كل زمان ومكان. فالتنوع الطبقي، والتفاوت في القدرات بين الأفراد من السنن الإلهية في هذا الكون، وهنا يكمن سر الجمال، وفيه الحكمة البالغة، فلولا الاختلاف في الألوان والأحجام والأبعاد، ولولا التباين في الملامح والصفات لفقد الكون جماله، واصبحت المخلوقات نسخًا مكرورة، لا تسترعي الانتباه لتماثلها.

وبالإضافة إلى سنة التنوع هذه، هناك سنة التغيير والتحول وعدم الثبات، فالإنسان يتحول من حال إلى حال، فقد يكون ضعيفًا ثم يصبح قويًا، وقد يكون فقيرًا فيصير غنيًا، وربما كان ذا عز وجاه، وإذا به يصبح ذليلاً مهانًا، والعكس صحيح. كما يمر الإنسان بأطوار وأحوال نفسية مختلفة، فقد يكون حزينًا كئيبًا، تغشاه سحابة سوداء من غم وهم، ثم لم يلبث أن يرفل بأثواب السعادة والفرح والحبور.

فالحياة لا تسير على وتيرة واحدة، فهي ليست وردًا وأزاهير دومًا، وليست هي شوكًا وعبوسًا دائمًا، بل هي تتقلب باستمرار بين هاتين الحالتين، فقد يكون المرء في حالة من الضيق والشدة، يجد نفسه غارقًا في لجج الهم والغم، قد سدّت في وجهه السبل، وأوصدت دونه أبواب الفرج، ثم لا تلبث السبل أن تتسع، والأبواب أن

www.mtenback.com

تنفتح، فيتحول المرء إلى حال من الفرح والسعادة والسرور، وهكذا فالحياة لا تدوم على حال.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة القرآن الكريم، فقال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[٧].

فالأيام دول، يوم لنا ويوم علينا. وفي هذا المعنى يقول الشاعر[٨]:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا ... وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرّ

وما دام الأمر هكذا فقد دعا القرآن الكريم إلى التفاؤل، وأن بعد الشدة والضيق الفرج الأكيد، فقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[٩]، وقال أيضًا: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١٠] وأكد ذلك باعادة اللفظ فقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١١].

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي في هذا المعنى[١٢]:

سَيُفْتَحُ بَابٌ إذا سُدَّ بَابْ ... نَعَمْ وتَهُونُ الأُمُورُ الصِّعَابْ

وَيَتَّسِعُ الحالُ مِنْ بَعْدِ ما ... تَضِيقُ المَذاهِبُ فيها الرِّحَابْ

مع الهَمِّ يُسْرَانِ هَوِّنْ عَلَيْكْ ... فَلا الهَمُّ يُجْدِي ولا الاكْتِئَابْ

---

[٧] سورة آل عمران: ١٤٠.

[٨] النمر بن تولب، شعر النمر بن تولب، صنعه نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ص ٥٧.

[٩] سورة الطلاق: ٧.

[١٠] سورة الشرح: ٥.

[١١] سورة الشرح: ٦.

[١٢] يوسف بن عبد الله القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول القسم الأول، ص ١٨١.

www.mtenback.com

وقد أشار الله تعالى إلى حالة خاصة من حالات تفريج الكرب، وهي إغاثة الناس بالسقيا ونزول الأمطار بعد انحباس طويل، وكربة شديدة تصيب الناس من جراء ذلك، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾[١٣].

وقد غرس الرسول عليه الصلاة والسلام في نفوس أصحابه أن ما من شدة إلاَّ ويعقبها الفرج، وأن اشتداد المصائب، مؤذن بنهايتها، وكلما ادلهمَّ الخطب، وأظلم ليل البؤس، لمع بريق الأمل، ولاحت سبل الخلاص، ولذلك غدا الاستبشار بالفرج طبعًا ملازمًا لهم في أحوالهم كلها، مهما اشتدت المحن، وتعقّدت الأمور، فالفرج دائمًا بعد الشدة، وبعد العسر لابد من اليسر، قال ابن عباس رضي الله عنه[١٤]: قال لي الرسول عليه السلام: «اعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب.. إن مع العسر يسرًا» وكان ﷺ يريد من أصحابه ألاَّ ييأسوا، أو يستسلموا للمحن، أو يركنوا إلى الهم والغم، بل كان يريد منهم أن يتفاءلوا دائمًا، وأن يستبشروا بالفرج مهما تكالبت عليهم المصائب والشدائد، ولذلك كان يلح باستمرار على أن الفرج قادم لا محالة، قال ابن مسعود[١٥]، قال الرسول عليه السلام: «لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه».

ولما كان الابتلاء للناس من الله تعالى، الذي وحده يقدِّر لهم كلَّ شيء، وهو الذي يحولهم من حال إلى حال، وهو الذي يرفع عنهم ذلك البلاء ويكشف عنهم

---

[١٣] سورة الشورى: ٢٨.

[١٤] الزمخشري، محمود بن عمر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج٣، ص٥٠٥.

[١٥] المصدر نفسه.

www.mtenback.com

النوازل، فإن الرسول عليه السلام، كان إذا أصابه هم أو حزبه أمر، يدعو بأدعية شريفة، لتنجلي عنه تلك الشدة، وتزول عنه الغمة، وكان يعلم أصحابه تلك الأدعية، ليتضرعوا بها إلى الله ليكشف عنهم ما ألمّ بهم من خطوب، وأُثر عنه أن دعوة المكروب: «اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»[16] وكان إذا نزل به هم أو غمّ، يتوجه إلى ربه داعيًا: «يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث»[17].

وتفاوت الطبقات الاجتماعية وتعددها حقيقة لا يماري فيها عاقل، وهي ضرورة حتمية، حتى تسير الحياة كما أراد خالقها لها، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا التفاوت الطبقي، والحكمة منه بقوله: ﴿... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[18].

وفي هذا التفاوت الحكمة كل الحكمة، فالقصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق، هو أن ينتفع بعضهم ببعض، ولو كانوا سواءً في جميع الأحوال لم يخدم أحدٌ أحدًا. فيفضي ذلك إلى خراب العالم وفساد نظامه، قال أبو حيان[19] وقوله تعالى: «سُخريًا» بضم السين من التسخير بمعنى الاستخدام، لا من السخرية بمعنى الهزء،

---

[16] جلال الدين السيوطي: الأرج في الفرج، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)، ص ١٠.

[17] المصدر نفسه.

[18] سورة الزخرف: ٣٢.

[19] انظر: أبا حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ج ٨، ص ١٣.

www.mtenback.com

والحكمة هي أن يرتفق بعضهم ببعض، ويصلوا إلى منافعهم، ولو تولى كلٌّ واحد جميع أشغاله بنفسه ما أطاق ذلك، وضاع وهلك.

فالإنسان محتاج إلى عون أخيه الإنسان، بكل الظروف والأحوال، ولا يستطيع أحد أن يكون في قدراته وإمكاناته، وممتلكاته غنيًا عن عون غيره وحاجته إليه، وقد أحسن المعري الذي جسد ضعف الإنسان، وشدة حاجته إلى بني جنسه حين قال[٢٠]:

النَّاسُ بالنَّاسِ مِنْ حَضَرٍ وَبَادِيَةٍ بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ

هذه هي الحقيقة التي لا ينكرها أحد، فالحاجة للتفاوت وللعون ناموس الحياة، وأساس قيامها واستمرارها.

ومن يتأمل حالة المجتمعات في أي عصر أو في أي مكان يجد مصداق ذلك، إذ لا توجد جماعة مستقلة، أو مكتفية ذاتيًا بأنشطتها أو إشباع احتياجات أعضائها، ومن ثمَّ فإنّه لابد من تبادل ما تنتجه من سلع وخدمات مع الجماعات الأخرى، في ضوء علاقة منافع متبادلة بين الجماعات.

فالإنسان مفطورٌ على حبّ الاجتماع، فهو لا يستطيع أن يحيا منفردًا، لأن هذا يتعارض مع ماركب فيه من حب العيش مع الآخرين، والأنس بهم، ومع هذه الفطرة التي فطر عليها، فهو بحاجة إلى من يتعاون معه على تأمين متطلبات حياته الضرورية والكمالية.

إن الله خلق الأرض وما عليها، وسخر للإنسان قوى الطبيعة كلها، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[٢١]، ولكن هذا التسخير لا يعني

---

[٢٠] أبو العلاء المعري: لزوم ما لا يلزم، شرح نديم عدي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط٢، (١٩٨٨م)، ج٣، ص١٤٠١.

[٢١] سورة لقمان: ٢٠.

www.mtenback.com

أن الإنسان يستطيع أن يستغل موارد الطبيعة، ويستفيد منها، إن عاش منعزلاً منزويًا عن إخوانه من بني البشر، فالله لحكمة عظيمة خلق الناس متباينين ومتفاوتين في الحظوظ والمواهب والأقدار، وجعل كلاً منهم بحاجة إلى ما عند إخوانه، حتى تتكامل الحياة البشرية، وتتناسق وتتناغم.

فالتباين إذن هو سر الحياة، وسر استمرارها، ولو تصورنا الخلق متماثلين ومتشابهين في قدراتهم، لقبع كل فرد في زاوية أو في بقعة من الأرض، ولعاش حياة رتيبة، معتمدًا على ماتقدمه له الطبيعة، وعلى ما منحه الله من قدرات، تعينه على استمرار حياته، إن قُدِّر لها أن تستمر، ومثل هذه الحياة، يمكن تصورها بأنها أيامٌ، وسنوات متشابهة ومكررة، لا جديد فيها، ولا جدوى منها، تسبب لصاحبها الملل والسآمة، لاطموح فيها ولا أمل، ولا تنافس، ومن ثمة لا مجتمعات راقية ولا تطور، بل هي مجتمعات بدائية أشبه بتجمعات بعض الحيوانات، التي لا تنشأ فيها حضارات مثلما نشأت في المجتمعات الإنسانية، لأن عامل الإبداع معدوم في عالم الحيوان، ودافع التنافس مفقود، فحمدًا للخالق المبدع على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ولا يدرك قيمتها إلا كل متأمل ومتدبر لخلق الله.

ولكن أيمكننا تصور نشوء المجتمعات الإنسانية، وقيام الحضارات المختلفة لمجرد حب الإنسان للاجتماع، ورغبته في تأمين حاجاته الحياتية؟ ألا يمكن أن تتعارض المصالح والرغبات؟ لا سيما إذا تذكرنا أن لدى كل فرد نوازع الخير ونوازع الشر، يتفاوت مقدارها من إنسان إلى آخر، والتربية والبيئة والظروف المحيطة بالأفراد، تقوي من هذه النوازع أو تلك، فتجعلهم أميل للخير أو للشر.

ثم إذا نحن سلمنا بأن المصالح المشتركة أو المتبادلة، تدعو الناس للتعاون، فما الذي يدعوهم إلى عون الضعفاء؟ ما الذي يدعوهم إلى هذا العون إن لم تكن في أعماقهم حوافز تدعوهم إلى هذه المساعدة، حوافز بعيدة عن المنفعة وعن المصالح الشخصية.

www.mtenback.com

إنَّ ما نعنيه بهذه الدراسة هو عون الضعيف والفقير، وصاحب الحاجة والرغبة في مساعدته من القادرين على المساعدة، وغوث من يحتاجون إلى الغوث والنجدة، وما تضطرهم إليه الحياة أمام التفاوت الطبقي في المجتمعات المعاصرة.

ويرى بعض علماء الاجتماع أن التدرج الاجتماعي، بطبيعته لا يمكن أن يحقق العدالة بين الناس، فالذين يولدون في أسفل السلم الاجتماعي، لا يمكن أن تتاح لهم الفرص نفسها، لإبراز مواهبهم، مثل أولئك الذين يولدون في أعلى السلم الاجتماعي، ذلك أن نظم التدرج الاجتماعي بالضرورة معادية لتطوير فرص متساوية بين الجميع سواء في التدريب أو التوظيف أو الامتيازات.

فالتدرج الاجتماعي ينمي العداوة والشك أو عدم الثقة بين مختلف قطاعات المجتمع، ومن ثم فإنه يمثل قوى التفرقة بين الناس وحرمانهم، أكثر من كونه يمثل قوى التفاعل، أو التماسك أو التعاون الاجتماعي[٢٢].

ومن هنا جاءت أهمية التعاون بين طبقات المجتمع، وظهرت الحاجة الماسة إلى تفريج الكربات، ليعيش الجميع في وئام ومحبة وتنتفي عوامل الكره والبغضاء ليكون المجتمع مجتمعًا مثاليًا، يشد القوي فيه أزر الضعيف، ويعطف عليه، ويمد له يد العون والمساعدة المادية أو المعنوية، فيزيل بذلك ما يداخله من شعور الحقد والكراهية، فيتحول إلى شعور الحب والود، وبذلك يكون المجتمع كما وصفه الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢٣]. وتكون العلاقة بين أفراده كما قال عليه السلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٢٤].

---

[٢٢] انظر: HARALAMBS AND HALBARN, (1991), P. 32-24

[٢٣] السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٤، ج٢، ص١٥٥.

[٢٤] البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، (١٤١٩هـ/١٩٩٨) ص٤٦١ (٢٤٤٦).

www.mtenback.com

ولما كانت حياة الإنسان تمضي بين يسر وعسر، وبين رخاء وشدة، ولما كان الشعراء كغيرهم من بني البشر يتنقلون بين هذه الأحوال، فقد صور لنا كثير منهم تلك المواقف العصيبة والأوقات الحرجة، التي تتأزّم فيها الأمور، حتى تضيق الدنيا بما رحبت، وفجأة يسطع بريق الأمل، فيتحول العسر إلى يسر والشدة إلى رخاء.

لقد ضمّن الشعراء قصائدهم خلاصة ابتلاءاتهم ومعاناتهم وأحاسيسهم فهذا إبراهيم بن العباس يصور لنا حالة فئة من الناس ضاقت بهم الحال، عندما نزلت بهم نازلة، فاسودّت الدنيا في عيونهم، وفقدوا كل أمل في الخلاص والنجاة، وذهبت بهم الظنون كل مذهب، فنسوا، وهم في غمرة الحزن والقنوط، أن حلقات الضيق والأسى لا تلتحم حول المكروبين، وتشد عليهم الخناق حتى تنفرج الهموم، وتزول الأحزان، التي ظنوها مقيمة لا تبرح، فيقول[٢٥]:

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَى ذَرْعًا وعِنْدَ اللهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
ضاقَتْ فلمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لاَ تُفْرَجُ

وقريب من هذا قول منصور الفقيه[٢٦]:

إِذَا الحادِثَاتُ بَلَغْنَ المَدَى وكَادَتْ تَذُوبُ لَهُنَّ المُهَجْ
وَحَلَّ البَلاءُ وَقَلَّ الوَفَاءُ وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الفَرَجْ

فاشتداد الكربة، واحتكام أسبابها، يأتي بحلها معه، ولا تدوم، وقد قالوا في ذلك: «اشتدي أزمة تنفرجي»[٢٧] فهذا كان يقينًا راسخًا، قد ثبت في الأنفس، وغرس

---

[٢٥] التنوخي، الحسن بن أبي القاسم: الفرج بعد الشدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، ج٢، ص٤٤٠.

[٢٦] التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢، ص٤٤٢.

[٢٧] الأبشيهي، محمد أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١، (١٩٩٩م)، ج١، ص١٠٢.

www.mtenback.com

في الأذهان، فعند اشتداد الكرب يكون الفرج، قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[٢٨]: عند تنامي الشدة تكون الفُرجة، وعند تضايق حَلَقِ البلاء يكون الرخاء.

ولا يقوى على مواجهة الكرب الجسيم، والشدة العظيمة عندما يحلاّن إلاّ المرء ذو العزيمة القوية، والهمة العالية، الذي يعدُّ نفسه، ويوطنها لمواجهة مشكلات الحياة، ويقوى بنفسه وعمله على كلّ ماقد يحدث له في حياته، وقد تكرر معنى الفرج بعد الشدة في كثير من مأثور العرب شُعرًا كان أو نثرًا، وهذا أبو حاتم يرى رأي منصور الفقيه، ويوافقه على أن للشدة أجَلاً تنحل عنده حبالها، وتلين قوتها، وينتصر الصابرون عليها، فيقول[٢٩]:

إذا اشْتَمَلَتْ على اليَأْسِ القلُوبُ ... وضَاقَ بما بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيْبُ

وَأَوْطَنَتِ المَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ ... وَأَرْسَتْ في مكامنِها الخُطُوبُ

ولم تَرَ لانْكِشافِ الضُّرِّ وَجْهًا ... ولا أَغْنَى بحِيْلَتِهِ الأَرِيبُ

أَتَاكَ على قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المُسْتَجِيْبُ

وكلُّ الحادِثاتِ إذا تَنَاهَتْ ... فَمَقْرُونٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ

ولأن للشعر معناه الخاص في وجدان العربي، الذي يتخذه دليلاً وعظة، وقد يلهمه التصرف المناسب لما يمر به من أحوال أو مواقف كأن يكون في غمّ شديد، وتنتابه حيرة لا يجد لها حلاً، ولا يعرف لها مخرجًا، فإذا ماسمع الشعر، ومايتضمنه من تجربة أو عِبْرَة، انفرجت أساريره وانقشع ماكان يَغْشاه من هم وغم، كما حدث لوالد أبي عمرو بن العلاء عندما نَقم عليه الحجاج، فَفَرّ إلى بادية قومه خوفًا من بطش

---

[٢٨] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٥٠٥.

[٢٩] ابن حمدون، محمد بن الحسن: التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عياس، بيروت، دار صادر، ج٨، ص٤٣.

www.mtenback.com

الحجاج، وضاقت به السبل وظنّ أن الحجاج مدركه لا محالة، وبينما هو على هذه الحال من الشدة واليأس والخوف إذا سمع راكبًا ينشد[٣٠]:

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ إن في الصَّبْرِ حيلَةَ المُحْتالِ
لا تَضِقْ في الأُمورِ ذَرْعًا فَقَدْ يُكْشَفُ غَمَّاؤُها بِغَيْرِ احْتِيالِ
رُبَّما تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمْـ ـرِ لَـهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ

فاستبشر بسماع هذه الأبيات وعرف أنها قد فرجت شدته وانتهت كربته.

ولا شك أن العربي الذي يستشعر الأمل دائمًا، ويتخذه سلاحًا في مواجهة الشدائد والكربات، يكون أكثر تفاؤلاً في انفراجها، وقد جسد عبد الله بن الزِّبير الأسدي شعوره وتفاؤله بهذين البيتين[٣١]:

لا أَحْسَبُ الشرَّ جارًا لا يُفارِقُني ولا أَحزُّ على ما فاتَني الوَدَجا
ولا نَزَلْتُ من المكْرُوهِ مَنْزِلَةً إلاّ وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لها فَرَجا

فالمرء القوي الشخصية، إن نزل به مكروه، وطّن نفسه على تحمله، وعمل بكل طاقاته على دفعه، فهو بهذه الثقة العالية، يرى أن كلّ حال إلى تحول، وهذا يجعله أكثر قوة في مواجهة الخطوب، في حين يتهاوى الآخرون، ويضعفون أمام أول شدّة تحل بهم، وقد يكلفهم ذلك حياتهم حين يهربون من المواجهة.

فالدنيا متقلبة بأهلها، لا تثبت على حال، ولا تدوم على صفة، فعلى المرء أن يدرك ذلك، فلا يكترث بما تأتي به الأيام من خير أو شر، لأن قانون الحياة التبدل والتحول، وما أعطته بيد تأخذه بأخرى، وقد صور ذلك أبو العتاهية، ناقلاً لنا تجربته فقال[٣٢]:

---

(٣٠) القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس، م١، ق١ ، ص١٨٣-١٨٤.

(٣١) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ج٨، ص ٤٣.

(٣٢) التنوخي: الفرج بعد الشدّة ، ج٢، ص ٤٤٢.

www.mtenback.com

إنَّمـــا الدُّنْيـــا هِبـــاتٌ وعَـــوَارٍ مُسْـــتَرَدَّة
شِـــدَّةٌ بعْـــدَ رَخَـــاءٍ ورَخـــاءٌ بعـــدَ شِـــدَّة

وربّما جاءت الأمور على غير ما يتوقع لها، وعلى غير ما يخطط لهـا الإنسـان بنظره القاصر، فقد يتوقع حصول أمر، فإذا بذلك الأمر يفوته، ولا يدركه وقد يستبعد أمرًا، ولا يرجو حصوله مطلقًا، فإذا به يصل إليه، وفي ذلك يقول الشاعر[٣٣]:

كُنْ لما لا تَرْجُو منَ الأَمْـــرِ أَرْجَـى مِنْـكَ يَوْمًـا لِمَـا لَـهُ أَنْـتَ راجِ
إنَّ مُوسَـى مَضَـى لِيَطْلُـبَ نَـارًا مِـن ضِيَـاءٍ رَآهُ والليـلُ دَاجِ
وأَتَـى أَهْلَـهُ وَقَـدْ كَلَّـمَ اللـ ـهَ وَنَاجَـاهُ وَهُـوَ خَيْـرُ مُنَاجِ
وَكذا الأَمْـرُ كُلّمـا ضَـاقَ بَالنّـا سِ أَتَى اللهُ فيـه سَـاعَةَ بِـانْفِراجِ

وأفضل سلاح لمواجهة المِلمّات هو الصبر، قال ابن عباس رضي الله عنـه[٣٤]: «أفضل العُدَّة الصبر على الشدة» وقال بعض الحكماء [٣٥]: «من أحبَّ البقاء فليُعِـدَّ للمصائب قلبًا صبورًا» فبالصبر تنفتح وجوه الآراء، وتستدفع مكايد الدنيا، فإن من قل صبره، عزب رأيه، واشتد جزعه، فصار صريع همومه، وفريسة غمومه، وبالصبر يتوقع الفرج، قال أحد الحكماء[٣٦]: «مفتاح عزيمة الصبر، تُعالج مغاليق الأمور»، وقد وافـق هذه الأقوال المأثورة الشاعر محمد بن بشير حين قال[٣٧]:

إنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَـدَّتْ مَسَـالِكُها فالصَّبْرُ يَفْتُقُ منها كَلَّ مَـا ارْتَتَجَـا

---

[٣٣] القرطبي: بهجة المجالس، المجلد الأول، القسم الأول، ص ١٧٨.

[٣٤] الماوردي، علي بن محمد: أدب الدنيا والدِّين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسـة الكتـب الثقافية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص ٢١٢.

[٣٥] المصدر السابق.

[٣٦] المصدر السابق، ص ٢١٥.

[٣٧] القرطبي: بهجة المجالس، المجلد الأول من القسم الأول، ص ٣٢٥.

www.mtenback.com

لا تَيْأَسَنَّ وإن طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إذا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بحاجتِهِ ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأَبْوابِ أن يَلِجَا

وإذا كان الكرب يحدث في النفس ضيقًا وألمًا، فإنّه يجعل الإنسان شفافًا في شعوره وإحساسه، تتطلع نفسه إلى الفرج الذي هو أمل المكروبين، وسلوة انتظارهم، وبه تخفف قسوة الكرب عليهم، ولولا ذاك لهلكوا، وقد صدق الشاعر حين عرض حالته، وهو يعاني مصائب الحياة قائلاً[٣٨]:

عَسَى الكَرْبُ الذي أَمْسَيْتُ فِيهِ ... يَكُونُ وراءَه فَرَجٌ قَرِيبُ

فَيَأْمَنُ خائِفٌ ويُفَكُّ عانٍ ... وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الغَرِيبُ

ومثل هذا الأمل بانكشاف الكرب، وقوة الإيمان بزوال الغم، يقول جعفر بن شمس الخلافة[٣٩]:

هِيَ شِدَّةٌ يَأْتِي الرَّخاءُ عَقِيبَها ... وَأَسًى يُبَشِّرُ بالسُّرُورِ العَاجِلِ

وَإِذا نَظَرْتَ فَإِنَّ بُؤْسًا زائِلاً ... لِلْمَرْءِ خَيْرٌ مِن نَعِيمٍ زائِلِ

وقد ألمح الشاعر في هذين البيتين إلى معنى طريف، وهو أن الكرب الذي يُنْتَظر بعد فرج، خير من نعيم يعقبه زوال، وذلك أن الشدة بعد النعمة والرخاء، وقعها صعب ومرّ، يكاد لا يُحتمل، أما من تصيبه النعماء بعد البأساء والشدة، فإنه ينسى شدته، بما يناله من نعيم، ويسلو عن عذاب السنين المرة.

وفي انفراج الكرب، وتغيّر الحال، يقول علي بن الجهم بيتين يصلحان أن يكونا مثلاً لما يمكن أن يحدث في طبيعة الحياة، وتقلبات الزمن، فلا يكون الركون إلى

---

[٣٨] التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢، ص ٤٧١-٤٧٢.

[٣٩] ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد: مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا «الفرج بعد الشدة» تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص٩٩.

www.mtenback.com

حال، ولا يثق الإنسان بشيء. وقد يكون في أشد الكرب، فيتغير إلى انفراج، وحتى في الموت الذي هو أخطر نهاية يواجهها المرء. فربما يعيش المريض الميؤوس منه، ويموت قبله طبيبه وعواده، فيقول[٤٠]:

لا يُؤيسَنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ ... خَطْبٌ رمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الأَنكَدُ

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَد تَخَطَّاهُ الرَّدَى ... فَنَجا، وَمَاتَ طَبِيبُهُ والعُوَّدُ

فالدهر قُلَّب، والزمان دوّار، والحياة لا تدوم على حال، وكلما اشتدت المحن، وادلهمت الخطوب، جاء الفرج، وحل الغوث،يقول أبو محجن الثقفي[٤١]:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

عَسَى ما تَرَى أَلاَّ يَدُومَ وَأَنْ تَرَى ... لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ

إِذَا اشْتَدَّ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فَإِنَّهُ ... قَضَى اللهُ أَنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ اليُسْرُ

فليس بعد الظلمة إلا النور، وليس بعد الشدة إلاَّ الفرج، وفي هذا المعنى يقول آخر، فأجاد وأوجز[٤٢]:

فلا تَجْزَعِي إِنْ أَظْلَمَ الدَّهْرُ مَرَّةً ... فَإِنَّ اعْتِكارَ اللَّيْلِ يُؤْذِنُ بِالفَجْرِ

وثَمَّ أمر دقيق، لا يدركه الكثيرون، وهو أن بعض الملمات والمحن تنطوي على خير عميم لا يلحظه الإنسان إلاَّ فيما بعد، فتكون كالنار التي تطرد خبث المعادن الثمينة فتخرج أكثر نقاءً وأشدَّ صفاءً، كما أن كثيرًا من النعم ينطوي على شرّ دفين، كأن يكون ذلك استدراجًا من الله وإمهالاً، يؤدي إلى دمار وهلاك. وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء[٤٣]:

---

(٤٠) ابن أبي الدنيا: الفرج بعد الشدة، ص ١٠٤.

(٤١) القرطبي: بهجة المجالس، المجلد الأول من القسم الأول، ص١٧٧.

(٤٢) المصدر السابق.

(٤٣) التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص٤٥٨.

www.mtenback.com

قد يُنْعِمُ اللهُ بالبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ ... وَيَبْتَلِي اللهُ بَعْضَ القَوْمِ بِالنِّعَمِ

وهذا شبيه بقول إسحاق العابد[٤٤]: «ربَّما امتحن الله العبد بمحنة عظيمة، يُخَلِّصه بها من الهلكة، فتكون تلك المحنة أجلَّ نعمة».

وفي هذا المعنى يقول آخر:

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا ... وَكِلِ الأُمُورَ إلى القَضَا

وابْشِرْ بِخَيْرٍ عاجلٍ ... تنسَى بهِ ما قد مَضَى

فَلَرُبَّ أمْرٍ مُسْخِطٍ ... لَكَ في عَواقِبِهِ الرِّضَا

وأحيانًا يقع الإنسان في محنة شديدة، ولا يجد لنفسه مخرجًا منها، بعد أنْ سُدّت في وجهه الأبواب، فلا يجد من يمد له يدًا أو يفرج كربته، فيلتجئ إلى الله داعيًا متضرعًا ليكشف ما أغمه وأهمه، ويزيل عنه ما أصابه من بلاء وضر، فالله وحده القادر على تبديد مخاوفه، وإشاعة الطمأنينة والأمان في نفسه، بعد كشف الغمة، يقول القاضي أبو الحسن المعروف بالأريب في شدة إصابته[٤٥]:

يامُسْتَجِيبَ دُعَاء المسْتَجِيرِ بِهِ ... ويامُفَرِّجَ لَيْلِ الكُرْبَةِ الدَّاجي

قد أُرْتِجَتْ دُونَنا الأَبْوابُ وانْغَلَقَتْ ... وَجَلَّ بَابُكَ عَنْ مَنْعٍ وَإِرْتَاجِ

نَخَافُ عَدْلَكَ أَنْ يَمْضِي القَضَاءُ بِهِ ... وَنَرْتَجِيكَ فَكُنْ للخَائِفِ الرَّاجِي

تلك نماذج من أقوال الشعراء أنشدوها عندما ألمت بهم الكرب والمصائب وغشيتهم الهموم والأحزان، وهي تعكس أحوالهم ونفسياتهم، أوردناها لعل فيها فائدة لمستفيد، وسلوى لمن نزلت بساحاتهم المحن.

---

(٤٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٩

(٤٥) ابن أبي الدنيا: الفرج بعد الشدة، ص ١١١.

www.mtenback.com

ولَّما كانت الكرب والمحن من أشد مايلم بالنفس البشرية، بما تسببه من ضيق وألم، وحزن وغم، فإنَّ تفريج تلك الكرب يعدُّ من أفضل الأعمال وأنبلها، ولذلك كان الرجال ذوو الوجاهة والعزة والكرامة، يسارعون إلى تفريج كربات المكروبين، وكشف هموم المهمومين، وكانوا، يعدون ذلك من أعظم المفاخر، ومما يجلب الحمد ويؤدي إلى المجد والسؤدد، ولذلك كانوا يحرصون على النهوض إلى إزالة الشدائد والكربات عمن وقعوا تحت وطأتها، جاء في كتاب الفرج بعد الشدة[٤٦]: «أن عمرو ابن مَعْدِ يكَرِبَ الزبيدي، قال: خرجت في خيل من بني زبيد، أريد غطفان، فينما أنا أسير وقد انفردت من أصحابي إذ سمعت صوت رجل ينشد:

أَمَا مِنْ فَتَىً لا يَخَافُ العَطَب ... يُبَلِّغ عَمْرَو بنَ مَعْدِ يكَرِبْ

بأَنَّا نَنُوطُ بأَزْمَانِنَا ... وأَرْجُلنا اليوم نوط القُرَبْ

فإنْ هُوَ لَمْ يَأْتنا عَاجِلاً ... فَيَكْشِفُ عَنَّا ظَلاَمَ الكُرَبْ

وإلاَّ اسْتَغَثْنَا بعَبْدِ المَدَانِ ... وعَبْدُ المَدَانِ لها إنْ طُلِبْ

قال: فعلمت أنَّه قول أسير في بني مازن بن صعصعة، فقلت لخيلي قفوا، حتى آتيكم. واقتحمت على القوم وحدي، وإذ هم يصطلون، فقلت: أنا أبو ثور، أين أسرى بني مذحج؟ فبادرت الأسرى من الرجال، وبادر القوم إليَّ يقاتلونني، فلم أزل أقاتلهم، وأقتل منهم، حتى استعفوني، وقالوا: إنا والله لنعلم أنَّك لم تأتنا وحدك، فاكفف عنا ولك الأسرى. فنزلت، وأطلقت بعضهم، وقلت: ليحل مطلقُكم موثقَكم، وليركب واحد منكم ماوجد، قال: وأقبلت خيلي، لا والله، ما سمعنا وما أصبحنا منذ أسرنا أشد بأسًا، ولا أتم إيقانًا بالهلاك منا اليوم.

---

[٤٦] التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج١، ص ١٤٣-١٤٤.

www.mtenback.com

ففي هذا الخبر دليل على مايتمتع به العربي من نبل ومروءة، فهو يهب إلى نجدة المستغيث لمجرد سماعه الاستغاثة، ومن دون أن يعرفه، أو تربطه به صلة ما، حتى أنه لا يعلم شيئًا عن الأسباب التي أدّت إلى محنته، وأوقعته في ذلك الكرب، لقد كان الدافع الذي دفع معد يكرب إلى ما أقدم عليه هو كرم أخلاقه، ونبل محتده، وعائد قبل هذا كله إلى ما وقر في نفسه وتأصل فيها من أهمية إغاثة المستغيث وتفريج كربه، ولما لها من مكانة رفيعة في سلم القيم ومكارم الأخلاق عند العرب مما جعله لا يبالي بالمخاطر التي تعرض لها، وهو يؤدي هذا الواجب العظيم، ويزيل عمن استغاث به ما أوقعه في كرب وشدة. ومما يروى في هذا الباب أن هارون الرشيد غُنِّيَ بقول الشاعر:

ألاَ هَلْ إلى شَمّ الخُزَامَى ونَظْرَةٍ ... إلى قَرْقَرَى قَبْلَ المَمَاتِ سَبِيلُ

فَيَا أثَلاتِ القَاعِ مِنْ بَطْنِ تُوْضَحٍ ... حَنِيني إلى أَفْيَائِكُنَّ طويلُ

أُرِيدُ نُهُوضًا نَحْوَكُم فَيُعِيْدُنِي ... إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عَلَيّ ثَقِيلُ

فاستحسن الرشيد الشعر، وسأل عن قائله، فأُخبر أنّه يحيى بن طالب الحنفي اليمامي، فقال: أحيٌّ هو أم ميت؟ فقال بعض الحاضرين: هو حيٌّ كميّت. فقال: و لم؟، قال: هرب من اليمامة لدين عليه ثقيل، فصار إلى الريّ. فكتب الرشيد إلى عامله بالريّ أن يدفع إليه عشرة ألاف درهم، وأن يحمله إلى اليمامة على دواب البريد، وكتب إلى عامله باليمامة بقضاء دينه، فلما كان بعد أيام، قال الرشيد لمن حضره: إن الكتب وردت بامتثال ما أمرت به، وعاد يحيى إلى وطنه موسرًا، وقد قضي عنه دينه[٤٧].

فهارون الرشيد بادر إلى تنفيس كربة هذا الشاعر، حينما علم أنه يعاني شدة عظيمة، سببها دين ثقيل ألجأه إلى الفرار من موطنه الحبيب، الذي ترعرع فيه، فامتزج

[٤٧] التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج٢، ص ٣٤٦.

www.mtenback.com

حبه، مع دمه فصار يحنُّ إلى كلّ موضع فيه، وإلى كلّ مافيه من خزامى وأشجار، وأفياء وأماكن، كان الشاعر يرتادها في مرابع صباه، فلما علم الرشيد حاله التي آل إليها، سارع إلى تفريج كربه بسداد دينه والتوسيع عليه، وإعادته إلى بلده الذي أحبه واشتاق إليه، فانقلب عسره يسرًا، وبؤسه فرحًا وسرورًا، وذلك من غير سعي منه.

إن تفريج الكربات خلق نبيل، تحلى به العرب في كل زمان ومكان، إلاّ أنّهم يتفاوتون في استجاباتهم لنداء هذا الخلق العظيم، كل بحسب استعداده الفطري، وبحسب إيمانه بالإضافة إلى الإمكانات التي يملكها كلٌّ منهم. وكلما ارتفع مستوى الفرد من الناحية الاجتماعية، وعظم جاهه كان أقدر على تفريج الكربات، وأصبح مقصدًا لذوي الحاجات، وأصحاب المحن، يلجأون إليه لتفريج كربهم، وكشف ما أهمهم وأغمهم.

إن الشدائد تصقل النفوس، وتكشف عن الجوهر الثمين في الإنسان، وتبيّن قدرته على الاحتمال والصبر، وتجعله مستعدًا لمعونة الآخرين، لأن الشدائد محك الإنسان وكاشفة جوهره، فالإنسان الذي عضه الجوع، وعانى من آلامه، تصبح نفسه شفافة يهبّ لإخماد جوعة الجائعين، كانت عُتبة بنت عفيف أمُّ حاتم الطائي لا تصادف محتاجًا إلاّ أعطته ولا جائعًا إلاّ أشبعته، حتى إنها لا تبقي شيئًا سخاءً وجودًا، فمنعها إخوتها من ذلك فأبت، وقالت: والله لقد مسّني من الجوع ما أليت معه ألاّ أمنع سائلاً شيئًا، وقالت[٤٨]:

لَعَمري لَقدْمًا عَضَّني الجوعُ عَضَّةً ... فَآلَيْتُ ألاَّ أمنع الدَّهْرَ جَائِعًا

فَقُولا لِهَذَا اللاَّئِمي الآنَ أَعْفِني ... فَإِنْ أَنْتَ لم تَفْعَل فَعُضَّ الأَصَابِعَا

فَمَاذا عَسَاكُمْ أَنْ تَقُولُوا لأُخْتِكُم ... سِوى عَذْلِكُم أو عَذْلِ من كان مانعًا

[٤٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٤٥٩.

www.mtenback.com

ولما كانت إرادة الله قد اقتضت قيام مجتمع إنساني متكامل، يتعاون أبناؤه على الضراء، ويتقاسمون السّراء، لهذا كله حض سبحانه الناس على مساعدة بعضهم بعضًا، في الظروف الحرجة، للتخفيف من حزن المحزونين، وكرب المكروبين فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٤٩]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٥٠].

وجاءت أحاديث الرسول عليه السلام لتحض على التعاون والتآزر، والسعي في تخفيف آلام المكلومين، وتفريج كرب المهمومين، وجعل قضاء حوائج الناس، وتفريج كربهم من أعظم القربات إلى الله تعالى، وذلك لما فيها من عظيم النفع والفائدة لأفراد المجتمع، فقد قال عليه السلام[٥١]: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» وقال أيضًا[٥٢]: «والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه».

كلّ هذه المعاني الشريفة تدفع الرجل إلى أن يسارع إلى تنفيس كرب ذوي الحاجات، وانتشالهم من براثن الحيرة والضياع والقهر، صحيح أن البلاء قَدَرٌ من الله، وأن علاجه الأمثل الصبر عليه، وصحيح أن انتظار الفرج عبادة تطهر النفوس، وتصلها بخالقها بالتضرع إليه والتذلل بعد طول غفلة، ولكن هذا لا يمنع الآخرين من امتثال أوامر الله وتعاليم الإسلام، وتلبية مافطر عليه العرب من نجدة، في مساعدة إخوانهم المكروبين، ببذل جهودهم وطاقاتهم، ليطهروا أنفسهم أيضًا، ويرفعوا درجاتهم

---

[٤٩] سورة المائدة: ٢.

[٥٠] سورة البقرة: ٢٣٧.

[٥١] البخاري: صحيح البخاري، ص٤٦٠، رقم (٢٤٤٢).

[٥٢] النووي، يحيى بن شرف: رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص١٤٦ (٢٥٠).

www.mtenback.com

بإسهامهم في إزالة أسباب الكرب وغواشي الهم، ففي الأثر، أن الرسول عليه السلام، قال: «من مشى في عون أخيه ومنفعته، فله ثواب المجاهدين في سبيل الله»[٥٣].

فأيُّ ثواب أعظم من هذا،الثواب! وأي عمل هذا الذي يرقى بصاحبه إلى مراتب المجاهدين!

إن من يسعى في قضاء حوائج المحتاجين، ويزيل عنهم الأحزان ويدخل على نفوسهم السرور يكسب محبة الله ورضاه، ففي الأثر أن النبي عليه السلام، قال: «الخلق كلهم عيال الله، فأحبّ خلقه إليه أنفعهم لعياله»[٥٤].

ثم إنّ من يقضي حوائج الآخرين، ويفرج كربهم، إنّما يدخر ذلك لنفسه ولعقبه من بعده، فالأيام دول، وخير مايُدّخر لتقلبات الزمان هو المعروف الذي يبذله الإنسان لأخيه الإنسان، قال الأحنف بن قيس [٥٥]: وما ادّخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء شيئًا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب.

وقد أحسن ابن المقفع في إبراز هذه الفكرة، حيث قال: «إنّ من قضى الحوائج لإخوانه، واستوجب بذلك عليهم، فلنفسه عمل لا لهم، والمعروف إذا وضع عند من يشكره، فهو زرع لا بدّ لزارعه من حصاده، أو لعقبه من بعده»[٥٦].

ومن قبله قال الحطيئة[٥٧]:

مَنْ يَعْمَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ والنَّاسِ

---

[٥٣] الأبشيهي: المستطرف في كلّ فن مستظرف، ج١، ص ٣٥٧.

[٥٤] المصدر السابق.

[٥٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٥٨.

[٥٦] محمد كردعلي: رسائل البلغاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط٤، (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ص ١٤١.

[٥٧] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، شرح وتعليق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص٢٠٠.

www.mtenback.com

فأفضل مؤونه لمواجهات تقلبات الأيام، اصطناع المعروف، وتقديم المساعدة لذوي الحاجات، قال أعرابي(٥٨):

وَمَا هذِهِ الأَيَّامُ إلاَّ مُعَارَةٌ فَمَا اسْطَعْتَ من مَعْروفِها فَتَزَوَّدِ
فَإِنَّكَ لا تَدْرِي بأيَّةِ بَلْدَةٍ تَمُوتُ ولا مايُحْدِثُ اللهُ في غدِ

وفي هذا المعنى قال علي رضي الله عنه(٥٩): «مامن أحد أودع قلبًا سرورًا، إلاَّ خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفًا، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره، حتى يطردها عنه، كما تطرد غرائب الإبل».

وثم رجال يستلذون بتفريج هموم المهمومين، ويتمتعون بكشف الضر والبلاء عن المكروبين، قال معاوية لِوِرْدَانَ: مابقي من الدنيا تلذّه؟ قال: العريض الطويل؛ قال: ماهو؟ قال: الحديث الحسن، أو ألقى أخًا قد نكبه الدهر فأجبره(٦٠) وقال وهب بن مُنّبه (٦١): «إنَّ من ألذ اللّذة الإفضال على الإخوان»(٦٢)، وبلغ من سمو الأخلاق لديهم ونبلها، أنّهم يرون لطالب المعونة يدًا عندهم، أفضل من أيديهم عنده، لأنّه اختارهم من بين الناس، وجعلهم محط آماله، ومبلغ رجائه في تفريج ما ألم به، وتبديد ما أهمه وأغمّهُ، قال عمرو بن العاص(٦٣): والله لرجلٌ ذكرني، ينام على شقه مرة، وعلى شقه أخرى، يراني موضعًا لحاجته، لأوجب عليَّ حقًا، إذا سألنيها منيّ إذا قضيتها له، وعبر عن ذلك عبد العزيز بن مروان أبلغ تعبير، حين قال(٦٤): إذا أمكنني

(٥٨) المصدر السابق، ج٣، ص٢٠٣.
(٥٩) الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٣٦٢.
(٦٠) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص ٢٠٤٢-٢٠٣.
(٦١) المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٠.
(٦٢) المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٠.
(٦٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٥٦.
(٦٤) المصدر السابق.

www.mtenback.com

الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده، فيده عندي أعظم من يدي عنده، وصاغ هذا المعنى الجليل شعرًا ابن عباس فقال[٦٥]:

إذا طارِقاتُ الهَمِّ ضاجَعَتِ الفَتَى ... وأَعْمَلَ فِكْرَ اللَّيْلِ، واللَّيْلُ عَاكِرُ

وباكَرَني في حَاجَةٍ لم تكُنْ لها ... سِوايَ ولا مِنْ نَكْبَةِ الدَّهرِ ناصِرُ

فَرَجْتُ بِمَالِي هَمَّهُ عن خِنَاقِهِ ... وزَاوَلَهُ الهَمُّ الطَّرُوقُ المُسَاوِرُ

وكانَ لَهُ فَضْلٌ عليَّ بِظَنِّهِ ... بِيَ الخيرَ إنّي لِلَّذي ظَنَّ شَاكِرُ

وكان من علو الهمة عندهم، وحبّهم للتفريج عن المكروبين أنهم يشعرون بحاجتهم لقضاء حوائج المحتاجين أكثر مما يشعر به صاحب الحاجة، قيل لأحدهم[٦٦]: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشدُّ من حاجة صاحب الحاجة.

فمثل هؤلاء سمت أنفسهم وتخلّصت من أنانيتها، وتطهرت من ماديّاتها، فمتعتها الحقيقية، ولذاتها العظمى في مساعدة الآخرين، وبذل العون لهم، وفي مثل أولئك، يقول بشار[٦٧]:

ليس يُعطِيكَ للرَجَاءِ وَلَا الخَوْ ... فِ ولكِنْ يَلَذّ طَعْمَ العَطَاءِ

فهو يقدم مساعدته لغير ما سبب، وإنّما هي منه سجيّة قد فطر عليها، وشيمة قد طبع بها، فينهض لتفريج كرب المكروبين، دونما مقابل، قال أبو تمام[٦٨]:

مِنْ غَيْرِ ماسَبَبٍ يُدْني، كَفَى سَبَبًا ... للحُرِّ أن يَجْتَدِي حُرًّا بِلا سَبَبِ

---

[٦٥] المصدر السابق.

[٦٦] المصدر السابق.

[٦٧] المصدر السابق، ج١، ص ١٦٤.

[٦٨] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ١٣٩.

www.mtenback.com

فالعطاء والبذل، ومساعدة الآخرين طبعٌ في النفوس الكريمة، التي جبلت على حبّ العون والسخاء، وتلبية طلبات الفقراء والسائلين، قالت أم حاتم الطائي ردًّا على أخوتها عندما حاولوا منعها من العطاء[٦٩]:

ولا ما تَـرَوْنَ الدَّهْـرَ إلاَّ طَبيعَـةٌ فكَيْفَ بِـتَرْكي يـابنَ أمِّ الطبائِعا

بل إن أصحاب هذه النفوس الكريمة لا يستطيعون مقاومة حبّ العطاء، وطبع الكرم الذي فطروا عليه، فتجدهم يحتالون حتى يحققوا رغبات أنفسهم في العطاء والعون، كان عبد الله بن جدعان من كرماء العرب المشهورين، وهو القائل[٧٠]:

إنّي وَإنْ لم يَنَلْ مَالي مَـدَى خُلُقي وَهَّابُ مَامَلَكَتْ كَفِّي مِـن المَـالِ

لا أَحْبِسُ المَـالَ إلاَّ رَيْـثَ أُتلِفُـهُ ولا تُغَـيِّرُني حَـالٌ عَـنِ الحَـالِ

ولما كبر وأسن أخذ بنو تَيْم عليه ومنعوه أن يُعطي شيئًا من ماله، فشقّ ذلك عليه، وآلمه أشدَّ الألم، فاحتال على ذلك حيلة طريفة، فكان إذا أتاه رجل طالبًا رفده، قال: ادنُ منّي، فإذا دنا منه لطمه، ثم قال: اذهب، فاطلب بلطمتك أو تُرْضَى، فَتُرضيه بنو تيم من ماله، وفيه يقول ابن قيس الرُّقيَّات[٧١]:

والَّـذي إنْ أَشَـارَ نَحْـوَكَ لَطْمًـا تَبِـعَ اللَّطْـمَ نـائِلٌ وَعَطَـاءُ

إن بذل الجاه، والمساعدة بالنفس، والمعونة في النائبة من أفضل الأعمال وأكثرها نبلاً، وأجلها فائدة، وهذه السجايا الرفيعة، يبعث عليها، حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم، وهذه الأفعال الحميدة، تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر، وجميل الذكر، وحسن الثناء، ونفع على المعان بها، في التخفيف عنه، والمساعدة له، في تفريج كربته، وكشف غمته، وادخال السرور إلى قلبه.

---

[٦٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٤٥٩.

[٧٠] المصدر السابق، ج١، ص ٤٥٨.

[٧١] المصدر السابق.

www.mtenback.com

ولهذا كله فإن المجتمعات الإسلامية تنعم دائمًا بظل الحبّ والإيثار والتعاون بين أفرادها، فالأغنياء ينفقون على الفقراء، بل ينفقون على كل محتاج، مهما كانت حاجته، لأن الأخوة هي الوشيجة والرابطة التي تجمع بين الأفراد على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم وقدراتهم، فهم كالجسد الواحد، إذا تألم أحدهم تألم الباقون لألمه، وهبوا إلى نجدته، وسارعوا إلى معونته، لأنهم أدركوا أن المال مال الله، وأن السعادة لا تكمن في المال وجمعه، بل في التسرية عن إخوانهم، ومساعدتهم، والتفريج عنهم، وإعادة البسمة إلى شفاههم.

وبهذا أدركوا طعم السعادة الحقيقية في الفقر والغنى، في العسر واليسر، حين تقاسموا الحلو والمر، فعاشوا في مستوى متقارب، يجوع أحدهم حين يجوع جاره، ويشبع حينما يشبع، لا يستأثر بلقمة، بل يبذلها لمن يطلبها، وهو يحس بنشوة الإيثار، قال الله في وصفهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٧٢] وقال أيضًا: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٧٣].

وكذلك كانت حالهم مع أصناف الضعفاء من شيوخ وأرامل ومرضى، وذلك أن الإسلام رقق القلوب، وجعل ثوابًا كبيرًا، وأجرًا عظيمًا لمن يساعد أخاه، ولو بشق تمرة أو بإزاحة الأذى عن الطريق، أو بإرشاد ضال إلى مبتغاه، أو حتى بالابتسام في وجه أخيه، أو بمبادرته بالتحية، فأي عمل أو سلوك يدخل السرور على قلب شخص ما، يترتب عليه أجر ممن خلق الإنسان لكي يعمر الأرض بضم جهده إلى جهود إخوانه، فكيف يتحقق الإعمار إن لم تتوافر هذه المبادرات، وهذه المشاعر الطيبة بين الناس؟!

---

[٧٢] سورة الحشر: ٩.

[٧٣] سورة الإنسان: ٨.

www.mtenback.com

إغاثة الملهوف:

من أبرز مظاهر تفريج الكربات إغاثة الملهوف، والملهوف: المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر[٧٤]، فالظلم مما تكرهه النفوس، وتتألم أشد الألم منه، لأن وقعه عليها شديد، يؤدي إلى الحزن والأسى والاكتئاب، فلا يجد أمامه إلاَّ الحسرة والشعور بالقهر والهوان، فهو يستغيث طالبًا العون ورفع الظلم عنه، فأيّ عمل أنبل وأفضل من أن يسارع إنسان ذو جاه أو مكانة اجتماعية، لنجدة ذلك الملهوف وإزالة مالحق به من ظلم وقهر، وإعادة السرور والاطمئنان إلى نفسه، وقد حض الرسول عليه السلام على إغاثة الملهوف، وكشف ضره، بل جعل ذلك من الأعمال التي يحبها الله تعالى ، فقال عليه السلام: «والله تعالى يحب إغاثة اللهفان»[٧٥]، وروي عنه أيضًا قوله: «من أغاث ملهوفًا، كتب الله له ثلاثًا وسبعين حسنة، واحدةٌ منها يُصْلِح بها آخرتَهُ ودنياه، والباقي في الدرجات»[٧٦].

فإغاثة الملهوف من أفضل الأعمال، وأنفعها لما فيها من دفع مظلمة عن مظلوم لا يجد من يدافع عنه، ومد يد العون لعاجز يستغيث لرفع الحيف والغبن عنه، فقد سئل الرسول عليه السلام، عن أفضل الأعمال، فقال: «إدخال السرور على المؤمن، قيل: ماسرور المؤمن؟ قال: إشباع جوعته، وتنفيس كربته، وقضاء دينه. ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزلُّ الأقدام»[٧٧].

---

[٧٤] الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١١٠٤ (لهف).

[٧٥] السيوطي: الجامع الصغير، ج٢، ص ١٦.

[٧٦] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٣٥٨.

[٧٧] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٣٥٩.

www.mtenback.com

فأيّ سرور أعظم من سرور يدخله إنسان إلى قلب ضعيف عاجز، مقهور، يستغيث، ولامن مستغيث، ثم يأتي ذلك الإنسان، فينتشله من براثن الظلم والجور، فيرفع عنه ظلامته، ويكشف ضرره، فيعيد له البسمة والفرحة والطمأنينة.

عون الضعيف:

المظهر الثاني من مظاهر تفريج الكربات هو إغاثة الضعفاء ومساعدتهم، ويندرج تحت هذا المعنى، مساعدة كلّ إنسان ضعيف الجسم، أو العقل أو الرأي، ويشمل كل شخص أصيب في جسمه أو عقله، أو في عضو من أعضاء بدنه، فقعد قعوداً تامًا أو جزئيًا عن ممارسة حياته الطبيعية، ونشاطات الحياة المختلفة التي منها السعي لاكتساب الرزق، ويمكن أن يدخل في هذا الإطار كلُّ إنسان أسلمته الأيام إلى شيء من الضعف؛ أو العجز لتقدم العمر، كما يشمل عون الضعيف الفقراء الذين قُدر عليهم رزقهم، فأصبحوا في حالة من العجز تتفاوت من فقير إلى آخر .

المحتاجون إلى العون:

ثمة فئات معينة في كل مجتمع تكون بحاجة ماسة إلى العون والمساعدة، والرعاية من قبل من يستطيع تقديمها من الأفراد أو الجماعات، وسنحاول في الصفحات القادمة أن نتحدث عن كل فئة من هذه الفئات.

الفقراء والمساكين:

كلمة الفقر تعني حالة غير مرغوب فيها، وتعني فيما تعني أن الأفراد الفقراء، أو الجماعات الفقيرة في حاجة كبيرة لمن يساعدهم، حتى تتغير أحوالهم، فالفقر إذن هو مشكلة اجتماعية، ولذلك لا بدّ من التعرف على حجمها وأسبابها، ونتائجها، وسبل حلها، ويرى معظم علماء الاجتماع أن معالجة ظاهرة الفقر، تكون من خلال تضييق فجوة عدم المساواة بين الأغنياء والفقراء، لأن المساواة المطلقة، أمر يصعب تحقيقه،

www.mtenback.com

ولا ينبغي تحقيقه، لأن الناس مختلفون. سواء في مقدراتهم الجسدية، أو مواهبهم الفكرية، أو تطلعاتهم المستقبلية[٧٨]، ثم إن هناك أسبابًا أخرى نجهلها للتفاوت بين الناس في الرزق، فقد نجد إنسانًا لا يتمتع بإمكانيات عقلية وجسدية، ومع ذلك يعدُّ من الأغنياء، وآخر أكثر ذكاءً ومهارةً إلا أنه فقير معدمٌ، كما قال المعري[٧٩]:

كَمْ عَالِمٍ عَالِمٍ أَعْيَتْ مَذاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقا

ولا تفسير لذلك إلاّ أن الإرادة الإلهية، اقتضت ذلك لحكمة نجهلها، فقد يكون ذلك ابتلاءً في الفقر أو الغنى، وقد يكون لعلمه تعالى، بأن الغنى يطغي هذا الإنسان، وأن تقليل رزقه أصلح له، ولعلمه أن الفقر يفسد ذلك الشخص، وأن الغنى يصلحه، وهكذا فالموازين مختلفة، وهي تتبع علم الله وحكمته التي لا نعلمها.

وبمساعدة الفقراء، يمكن معالجة ظاهرة الفقر، في إطار من عدم مساواة معقولة في المجتمع، ولتقديم مثل هذه المساعدات، وضعت كثير من البلدان خطًا للفقر، ويقابله في الشريعة الإسلامية، مايعرف بحد الكفاية، فيما يتعلق بتوزيع الزكاة على الفئات المستحقة التي فصّلها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٨٠].

ففي هذه الآية حدّد الله مصارف الزكاة، وسمى الفئات التي تستحقها، وذكر على رأسها الفقراء والمساكين، ولا عجب في ذلك فالفقراء والمساكين، هم أحوج الناس إلى من يساعدهم، لأن ظروفهم الحياتية جعلتهم لا يقوون على اكتساب الرزق،

---

(٧٨) Haralambas and Holbrarn, 1991: P. 194-195

(٧٩) تعريف القدماء بأبي العلاء، جمعه وحققه لجنة من رجال وزارة المعارف العمومية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، ص ٤٠٩.

(٨٠) سورة التوبة: ٦٠.

www.mtenback.com

وتأمين ضرورات الحياة، بل ربما يبيتون على الطوى ولا سيما المساكين منهم الذين يأنفون سؤال غيرهم وطلب المعونة منه.

وجاءت آيات كثيرة تحض على مساعدة الفقراء والبائسين منها قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[٨١].

كما جعل الله الكفارات وسيلة لمساعدة الفقراء والمساكين، من ذلك أنه أُبيح الإفطار في رمضان لمن يتعبه الصيام، ويكلّفه مشقة ومعاناة لأسباب صحية، ومقابل هذه الرخصة فُرض عليهم إطعام مسكين عن كل يوم يفطرونه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[٨٢].

وجعل الله كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين. قال سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾[٨٣].

فالمولى قدر أرزاق تلك الفئة من الناس، وهم الفقراء والمساكين، وجعلها متعددة الموارد، كالزكاة والغنائم والفيء والأضاحي والكفارات، بالإضافة إلى الصدقات الطوعية التي لا يحدها زمان ولا مكان، ولكن الملاحظ أن هذه الموارد ليست موارد مباشرة، وإنما هي موارد تصل إليهم بواسطة الأغنياء والميسورين. وكأن حكمة الخالق اقتضت أن يكون هناك أخذ وعطاء بين الناس، لتتوثق عرى الترابط فيما بينهم، وليكون هناك نوع من التعاطف يؤدي إلى ما يسمى بالضمان الاجتماعي.

ومن تمام عناية الله بالضعفاء، ألا يدع مناسبة إلا ويذكّر فيها بهؤلاء الناس المحتاجين، فحين سأل صحابة رسول الله ﷺ، ماذا ينفقون؟ تنزّل الوحي مجيبًا عن

---

[٨١] سورة الحج: ٢٨.

[٨٢] سورة البقرة: ١٨٤.

[٨٣] سورة المائدة: ٨٩.

www.mtenback.com

سؤالهم بكل بساطة وسلاسة، بأنّه يمكنهم الإنفاق من كلّ ما هو طيب وخير، ثم بين لهم أن الإنفاق، يبدأ بأقرب الناس، وهم الوالدان، ثم يتدرج المنفق بالإنفاق على أقاربه، ثم اليتامى الذين فقدوا المعيل، ثم المساكين المحتاجين الذين تربأ نفوسهم عن طلب العون، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٨٤].

وثمة آيات كثيرة[٨٥] يحثّ الله فيها المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله، وتشجيعًا على ذلك وعدهم بمضاعفة الأجر والثواب إلى أضعاف مضاعفة، وفي تلك الآيات طائفة من الآداب العالية التي تراعي نفسية الفقير الشديد الحساسية، فمن تلك الآداب، ألا يتبع الصدقات ما يؤذي الفقير ويجرح كرامته، وأن تكون الصدقات من أجود الكسب وأطيبه، كما يُفضَّل أن تعطى بالخفاء، حفاظًا على مشاعر الفقراء والمساكين، إلاّ إن كان في الإعلان منفعة وتشجيع على العطاء.

وكان الرسول عليه السلام يحث المسلمين على الرحمة بالفقراء والمساكين والمحتاجين. من ذلك قوله: «لا يدخل الجنة إلاّ رحيم. قالوا: يارسول الله كلنا رحيم. قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة، ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره»[٨٦]، وبدهي أن الفقراء والمساكين هم من تجب لهم الرحمة، ولم يكن عليه السلام يدع مناسبة إلاّ وأوصى لهذه الفئة من المستضعفين حتى إنّه أخبر أن مساعدة هؤلاء الفقراء من موجبات الجنة، وحرمانهم من موجبات النار، فقال: «من أطعم جائعًا يريد به وجه الله، وجبت له الجنة، ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة، وعذبّه في النار»[٨٧].

---

[٨٤] سورة البقرة ٢١٥.

[٨٥] انظر: سورة البقرة: الآيات ٢٦١ - ٢٧٤.

[٨٦] الغزالي، أبو حامد: مكاشفة القلوب، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٣ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٩٤.

[٨٧] المصدر السابق، ص ٩٦.

www.mtenback.com

فإطعام الجائع عمل عظيم، لأن الطعام من المقومات الأساسية لحياة الإنسان، فبدونه تشل حركة الإنسان، وقد تتوقف حياته إن طال جوعه، لذلك كان الأجر والثواب على قدر عظمة هذا العمل، وهو دخول الجنة.

وسدّ جوعة الفقير من موجبات رحمة الله وغفرانه، فقد قال عليه السلام: «من اهتبل جوعة مسلم، فأطعمه غفر له»[٨٨]، وثمة طائفة أخرى من الأحاديث النبوية تحض على بذل الطعام للمحتاجين، منها أن رجلاً سأل الرسول عليه السلام: أيّ الإسلام خيرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطّعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[٨٩]، فهذه الأحاديث الشريفة تبين فضيلة إطعام الفقراء وإزالة ألم الجوع عنهم؛ وذلك لأهمية الطعام وضرورته للإنسان. فالرسول الكريم يعلم أن في كل مجتمع فقراء ومساكين، لا يجدون مايقتاتون به، فألم الجوع يقض عليهم مضاجعهم، فلابدّ من أن يحصلوا على حقهم من الطعام. الذي يتقوون به وهذا حق مشروع لهم، ضمنه الله تعالى، وفرضه على إخوانهم الميسورين، فكل مجتمع يحتاج إلى كل فرد من أبنائه، ويحتاج إلى سواعدهم لتبني هذا المجتمع، ولكي يصبح أبناؤه كلهم منتجين، ولا يحصل هذا إلاّ بإشباع بطون الجياع، وتأمين مابه تستمر حياتهم، ويساعدهم على العمل والانتاج مهما كان نوعه. ولذلك فرض على الأغنياء ردّ فضول أموالهم على الفقراء والمحتاجين ليغدوا المجتمع بأسره مجتمعًا قويًا متماسكًا منتجًا، كلّ فرد فيه يؤدي دوره حسب قدراته ومواهبه وإمكاناته، وهذا هو تكامل المجتمع وتآزره، وبذلك يكون المجتمع متضامنًا متحابًا تشده أواصر الود والعطف والتعاون.

وهذا من أهم أهداف الدين ومراميه، فالإسلام ليس مجرد عقيدة يضمرها القلب كما يظن كثير من الناس، بل هو إيمان وقر في القلب وصدقه العمل، العمل الذي

---

[٨٨] ابن أبي الدنيا، قضاء الحوائج، ص ٢٤.

[٨٩] البخاري: صحيح البخاري، ص ٢٩ رقم (٢٨).

www.mtenback.com

يترجم هذا الإيمان إلى نفع وتضامن مع الإخوة وخاصة المحتاجين إلى العون والمساعدة، فليس هناك أحسن وقعًا على جائع من إشباع جوعته، فقد قرن الرسول عليه السلام الإيمان بمساعدة المحتاجين، وحبّهم والعطف عليهم، فقال[٩٠]: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبه لنفسه».

فالإسلام حرص على تمتين الأواصر الأخوية، والتراحم والتعاطف بين أفراد المجتمع عامة. وهكذا سما الإسلام بالإنسان، ورقق القلوب القاسية فأصبحت النفوس بالمجاهدة تعشق مكارم الأخلاق، وتترفع عن الدنايا والسفاسف.

وصارت القلوب تضم أسمى العواطف الإنسانية وأرقّها، وأصبح المسلمون مجتمعًا فاضلاً انتفت فيه عوامل الأَثَرَة والتشاحن وحلت محلها عناصر الإيثار والتعاطف.

وكما حض الإسلام على مساعدة الفقراء والمحتاجين ورتب على ذلك الأجر العظيم، لأن فيه سعادة المجتمع ورقيه وتقدمه، وتحقيقًا لما أراده الله عز وجل من عمارة الأرض واستمرار الحياة وتطورها، فإنه كذلك حذر من البخل والشح. وعدم المبادرة إلى بذل المال والطعام للمحتاجين وجعل ذلك سببًا في خراب المجتمعات وهلاكها ودمارها، وقرن ذلك بالظلم فقال الرسول عليه السلام [٩١]: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحّ، فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

ومن هنا يتبين لنا أهمية مساعدة المحتاجين، والإنفاق عليهم، فإن ذلك من أبرز عناصر تكوين المجتمعات واستمرارها وتقدمها، وذلك أن هذا الخلق النبيل ينشر الرحمة والتعاطف بين أفراد المجتمع، فيعمل الجميع بتعاون وتكامل وانسجام مما يكون له أكبر الأثر وأفضله في نماء المجتمع واستقراره وتطوره.

---

[٩٠] البخاري: صحيح البخاري، ص ٢٦ رقم (١٣).

[٩١] النووي: رياض الصالحين، ص ٢٥٧ رقم (٥٦٨).

www.mtenback.com

وبالمقابل فإن الامتناع عن مساعدة الفقراء والمحتاجين. ومد يد العون لهم، مؤذن بانهيار المجتمعات وخرابها، لأن عدم المساعدة والعون يثير لدى الجميع البغض والكره والتشاحن والتحاسد وهذه كلها عوامل تنخر بالمجتمع فسادًا بل هي معاول هدم في بناء المجتمع، حتى تأتي على أنقاضه. وصدق الله القائل: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٩٢].

و لم يكن الرسول عليه السلام يعلم المسلمين ويربيهم على البذل والعطاء، ومساعدة الآخرين من خلال التعاليم النظرية فحسب، بل كان مثالاً يحتذى في كرمه وعطائه وبذله، وأسوة حسنة في مساعدة المحتاجين وتفريج كربهم، فابن عباس رضي الله عنه، يقول: «كان النبيّ أجود الناس»[٩٣]. فكان لا يسأله سائل إلا أعطاه، ولا يعتذر أبدًا، قال جابر رضي الله عنه[٩٤]: «ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط، فقال: لا بل كان يؤثر غيره على نفسه، ويعطيه ماهو أشد حاجة إليه من السائل، فقد أهديت إليه بردة، فلبسها وهو محتاج إليها، فرآها عليه رجل من أصحابه، فقال: يارسول الله: ما أحسن هذه فأكسنيها، فقال: «نعم»[٩٥].

إن تمثل رسول الله للقيم الإسلامية جعله لا يأبه للدنيا، فكان يعيش مع أفراد أسرته على الكفاف، بعد أن رباهم على القناعة وغنى النفس، فكان القليل من المال يكفيه ويكفي عياله، وما تبقى منه ينفقه على الفقراء والمحتاجين، ويشبع به بطونًا جائعة، أو يكسو به أجسامًا عارية.

---

[٩٢] سورة التغابن: ١٦.

[٩٣] البخاري: صحيح البخاري، ص ١١٦٧.

[٩٤] المصدر السابق، ص ١١٦٨ رقم (٦٠٣٤).

[٩٥] المصدر السابق، رقم (٦٠٣٦).

www.mtenback.com

وإطعام الفقراء وإيواؤهم، وسدّ عوزهم، خلق عربي أصيل، فكان من دواعي افتخارهم واعتزازهم، وخاصة في أيام النكبات والقحط.

وأكثر ما كان يقدم الطعام لأولئك البائسين الذين يجوبون الصحراء، فيتيهون في مضلاّتها، فيتخطّفهم الموت والجوع من كلّ جانب، فلا منقذ لهم، إلاّ أولئك النبلاء الذين أخذوا على عاتقهم مساعدة أمثال هؤلاء، يقول عوف بن الأحوص: [٩٦]

ومُسْتَنْبحٍ يَخْشَى القَوَاءَ ودُونَهُ ... من اللّيْلِ بابا ظُلْمَةٍ وَسُتُورُها
رَفَعْتُ له نارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِها ... زَجَرْتُ كِلابي أنْ يَهِرَّ عَقُورها
فَباتَ وقَدْ أَسْرى من الليلِ عُقْبَةً ... بِلَيْلة صِدْقٍ غابَ عنها شُرورُها
فلا تَسْأَليني واسألي عن خَلِيقَتي ... إذا رَدَّ عافي القِدْرِ مَن يَسْتَعِيرُها
تَرِي أنَّ قِدْري لا تَزَالُ كَأَنَّها ... لِذي الفَرْوَةِ المَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُها
مُبَرَّزَةٌ لا يُجْعَلُ السِّتْرُ دونَها ... إذا أُخْمِدَ النيرانُ لاحَ بَشِيرُها

فهؤلاء الضالون في الصحراء كثر، ولذلك أخذ شاعرنا على نفسه إغاثتهم، فهو دائم إشعال النار لهم لهدايتهم إليه، وقدره منصوبة على النار دائمًا مليئة بالطعام فلم تخلُ من ذلك أبدًا، فهو يقدم الطعام لطالبيه بصورة دائمة.

إن هذه الخصلة الكريمة أوجبتها بيئة الصحراء القاحلة الواسعة، وفرضتها على ساكنيها حتى غدت متأصلة فيهم، فكان العرب في صحرائهم يسعون إلى تلبية نداء المكروبين سعيًا.

حتى إنهم كانوا يؤثرون المحتاجين على أولادهم في تقديم الطعام، وكانوا يتواصون على ذلك جيلاً بعد جيل، يقول شاعرهم[٩٧]:

---

[٩٦] عبد الرحمن محمد الوصيفي: المستدرك في شعر بني عامر: إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، ص١١٨.

[٩٧] الوصيفي: المستدرك في شعر بني عامر، ص١٢٠.

www.mtenback.com

أَعدِّي قِرىً يــا أمَّ نَصْــرٍ فَعَجِّلــي لِمَنْ ضَافَنَا ثــم افْرِغــي لِعِيَــالِك
ألاَ إِنَّ جَدِّي كَانَ أَوْصَى بِــهِ أَبِــي قديمًا وَأَوْصَاني أَبِــي مِثْــلَ ذلــك

وكان كثير من أصحاب المعروف الذين نذروا أنفسهم لمساعدة الفقراء، يفتشون عن أولئك الفقراء الذين يخفون عوزهم ﴿وَلاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٩٨]، فلا يعلنون شكواهم فيبادرون إلى إزالة خلتهم، ولا يشعرون بالراحة والسعادة إلا بعد كشف ما أصابهم من ضر وبلوى، يقول أحدهم مصوراً نبل من أزال عنه فقره [٩٩]:

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهــا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حتَّــى تَجَلَّــتِ

وكانوا كثيراً مايؤثرون الفقراء والمحتاجين على أنفسهم وعلى أولادهم، من ذلك أن عبد الله بن عتبة بن مسعود باع أرضًا بثمانين ألفًا، فقيل له: لو اتخذْت لولدك من هذا المال ذخراً؟ فقال: بل أجعله ذخراً لي، وأجعل الله ذخراً لولدي، وقسمه بين ذوي الحاجات[١٠٠].

أما عروة بن الورد فقد بلغ الذروة في تقديم المساعدة إلى الفقراء وتفريج كرباتهم، فكان يؤثرهم على نفسه بالطعام حتى غدا هزيلاً ضاوياً ، وصوّر ذلك تصويراً بديعًا، إذ علل سبب هزاله، أنّه كان يُفرّق جسمه على الفقراء، فصار ضعيفًا، ويعني بذلك أن الطعام الذي هو سبب الصحة والعافية، كان يوزعه على المحتاجين، ولا يأخذ منه إلا اليسير، يقول ردًا على من عيره بهزاله[١٠١]:

وَإِنِّي امْرُؤٌ عَــافِي إِنَــائِيَ شِــرْكَةٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ عَافِي إِنَــائِكَ وَاحِــدٌ

---

[٩٨] سورة البقرة: ٢٧٣.

[٩٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص ١٨٠.

[١٠٠] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٥٠١.

[١٠١] المصدر السابق، ج٣، ص ٢٨٧.

www.mtenback.com

أَتَهْزَأُ مِنّي أن سَمِنْتَ وَأَنَّ تَرَى ... بِجِسْمِي مَسَّ الحقِّ والحقُّ جاهِدُ
أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ ... وَأَحْسُو قَراحَ المَاءِ والماءُ بارِدُ

وكانوا من النبل والرحمة بالفقراء والمعوزين، أنهم لا يستمرئون الطعام، إن كان جارهم يتلوى من الجوع، يقول شاعرهم(١٠٢):

وكَيْفَ يَسِيغُ المرءُ زَادًا وَجَارُهُ ... خَفِيفُ المِعَى بادِي الخَصَاصَةِ والجُهْدِ

ولهذا كان مما يُعيرون به، أن يناموا على شبع، وجاراتهم يتضورن جوعًا، فالأعشى يهجو قومًا، بأنّهم في أيّام الشتاء والشدة، وكلب الزمان، يبيتون متخمين، وجاراتهم يبِتْنَ خماصًا، فيقول(١٠٣):

تَبِيتُونَ فِي المَشْتى مِلاءً بُطُونُكُم ... وجَاراتُكُمْ سُغْبٌ يَبِتْنَ خَمائِصَا

إن العربي مفطور على حب مساعدة الآخرين وتقديم العون لهم، ويجد في نفسه أريحية وهزة في مدّ يد العون لهم، وإغاثتهم مما لحق بهم من ضرر وبؤس. ولا ريب أن الإسلام نمى هذا الخلق النبيل في نفوس المسلمين إذا رتب عليه الأجر العظيم والثواب العميم، بل ربطه بالإيمان، وجعل مكافأة هذا العمل الكريم رضا الله وغفرانه ومن ثمّ دخول الجنة. لقد سما الإسلام بالإنسان ورقق القلوب القاسية فأصبحت النفوس بالمجاهدة تعشق مكارم الأخلاق، وتترفع عن الدنايا، وصغائر الأمور، كما قال الرسول الكريم: «إن الله رضي لكم مكارم الأخلاق، وكره لكم سفاسفها»(١٠٤).

وصارت القلوب تضم أسمى العواطف الإنسانية وأنبلها فأصبح المسلمون مجتمعًا متماسكًا قائمًا على التعاون والتعاطف والتعاضد، يشدّ بعضهم أزر بعض، كما وصفهم الرسول عليه السلام في الحديث المشهور: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم

---

(١٠٢) المصدر السابق، ج٣، ص ٢٨٧.

(١٠٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص ٢٨٤.

(١٠٤) محمد بشير الباني: البناء الأخلاقي، مطبعة العلم، دمشق، (١٣٨٤هـ/١٩٩٥م)، ص ٢٤.

www.mtenback.com

وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١٠٥].

فانتفت في مثل هذا المجتمع المثالي عوامل التفرقة، والتفاوت الطبقي، فالأغنياء يردون فضول أموالهم على الفقراء، وإذا ما بخلوا بها، وامتنعوا عن أدائها، فالدولة تأخذها منهم قسراً لتوزيعها على الفقراء كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حروب الردة[١٠٦].

وكان ولاة الأمور يتفقدون أحوال الرعية، خاصة في سني الشدة والنكبات والقحط، فكانوا يبحثون عن أصحاب الحاجات والبؤساء ليقدموا لهم العون ويكشفوا ضرهم، ففي عام الرمادة يحمل عمر رضي الله عنه على ظهره جرابين من دقيق، ويحمل خادمه قربة مملوءة زيتاً، ثم ينطلقان إلى جماعة في أقصى المدينة، لأنه سمع أن الضرّ قد نزل بهم، فيطهو لهم الطعام بنفسه، ثم يحملهم إلى داخل المدينة ليكونوا تحت رعايته[١٠٧].وكان رضي الله عنه، ينوي قبل وفاته أن يطوف بجميع الأمصار، ليتفقد أحوال الناس، ويقف عليها بنفسه، ويطمئن على أحوالهم، فقال يوماً لأصحابه: «لئن عشت إن شاء الله لأسيرنّ في الرعية حولاً، فإني أعلم أن للناس حوائج لا تصل إليّ»[١٠٨].

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان غنيًا موسرًا، فينفق أمواله في وجوه الخير، خاصة على الفقراء والمحتاجين، لا سيما في سني القحط والجدب وقلة الطعام،

---

[١٠٥] النووي: رياض الصالحين، ص ١٤٠ (٢٢٩).

[١٠٦] انظر ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، ط١، (١٩٦٦م)، ج٦، ص٣١١.

[١٠٧] انظر ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي: تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شوحان، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة التراث، دير الزور، ص ٨٨-٨٩.

[١٠٨] خالد محمد خالد: بين يدي عمر، ص١١٠-١١١.

www.mtenback.com

ففي خلافة أبي بكر رضي الله عنه، اجتاحت الناس سنة قحط، وقلّ الطعام، وانتشر الجوع، فوصلت إلى عثمان قافلة من ألف راحلة محملةً بُرًّا وطعامًا، كان قد اشتراها من الشام فلما علم تجار المدينة بذلك، قدموا على عثمان كي يشتروها منه، وليوسعوا على الفقراء والجائعين، وساوموه، وأغلوا له الثمن بما يضمن له ربحًا كبيرًا، إلاّ أنه رفض البيع، وقال: «فأشهدكم يا معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة»[١٠٩].

لا شك أن تصدق عثمان بحمولة ألف راحلة في زمن مجاعة وشدة، يعد الغاية في عمل الخير، وتفريج كربات المحتاجين، وأي كربة أشد من الجوع! وأي عمل أفضل من إسكات جوعة جائع![١١٠].

أما علي كرم الله وجهه، فكان يملك قلبًا نبيلاً رحيمًا، جعله يمد يد العون للفقراء والمساكين والمستضعفين، دخل عليه أعرابي، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة، الحياء يمنعني أن أذكرها، فقال خطها في الأرض، فكتب، إنّي فقير، فقال: ياقنبر اكسه حلتي[١١١].

وكان يقول: من كانت له حاجةٌ فليرفعها إليّ في كتاب، لأصون وجهه عن المسألة[١١٢]. وله جملة من الأقوال جرت مجرى الحكمة تحضّ على إعطاء الفقراء، فقال: «من يَعط باليد القصيرة يُعط باليد الطويلة»[١١٣]، وقال أيضًا: «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه»[١١٤].

---

[١٠٩] انظر: محمد رضا: ذو النورين، عثمان بن عفان، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢٣.

[١١٠] المصدر السابق نفسه.

[١١١] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٤٩٨.

[١١٢] المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٧.

[١١٣] علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، ضبطه: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، (١٩٨٢م)، ص ٥٠٩

[١١٤] المصدر السابق، ص٤٧٩.

www.mtenback.com

وأما عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقد كان يعين الضعفاء، ويطعـم الجـائعين، ويكسو العراة، دخل عليه أعرابي، فقال: يا أمير المؤمنين، جاءت بي إليك الحاجـة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عني يوم القيامة!

فقال ويحك، أعد علي، فأعاد عليه، فنكس عمر رأسه، وأرسل دموعه، حتـى ابتلت الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: ويحك كم أنتم؟ قال: أنا وثماني بنات. ففرض لـه عمر ولبناته، ثم أعطاه مئة درهم من ماله الخاص، لينفقها ريثما تُصرف له أعطياتٌ من بيت المال(١١٥).

لقد بلغ حبُّ البذل ومساعدة الفقراء، ومعاونة المحتاجين وكشف كرباتهم عند العرب مبلغًا عظيمًا، حتى إنهم كانوا يبادرون إلى تفقد أحوال الفقـراء والمسـاكين وتقديم المساعدة لهم، وإزالة بؤسهم، حتى لا يضطروهم إلى ذل السؤال، وليحفظـوا لهم ماء وجوههم ليعيشوا في كرامة ، قال معاوية للحسن بن علي رضي الله عنهم: مـا الكرم؟ فقال: هو التبرع بالمعروف قبل السؤال، والرأفة بالسائل مع البذل(١١٦).

وقريب من هذا قول معن بن زائدة(١١٧):

دَعِيـني أَنْهَـبُ الأَمْـوالَ حتـى ... أُعُـفَّ الأَكْرَمِـينَ عَـنِ اللّئـامِ

النهب هنا يعني جمع المال وتحصيله وإنفاقه في سبل الخير وليس المـراد أخـذه بالقوة، والعرب تمدح الرجل الذي يحرص على المال ويجمعه ثم ينفقه في مصارف الخير وما يعود على مجتمعه بالفضل، والشاهد على رأي العرب في ذلـك قـول الحطيئـة لممدوحه(١١٨):

---

(١١٥) عبد الستار الشيخ: عمر بن عبد العزيز، ص ٣٠٧.

(١١٦) الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٤٨٦.

(١١٧) المصدر السابق، ج١، ص ٤٩٤.

(١١٨) الحطيئة: ديوان الحطيئة، شرح: يوسف عبيد، دار الجيل، بيروت، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٦٢.

www.mtenback.com

كَسَوبٌ وَمِتْلافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتِزَازَ الْمُهَنَّدِ

وهذا قول مشهور معروف عند العرب فمن ذلك أن رجلاً قصد صديقًا له، فدق عليه الباب، فخرج إليه وسأله عن حاجته،فقال علي دين كذا وكذا، فأعطاه مايفي دينه، ثم دخل بيته باكيًا، فقالت له زوجته، هلاَّ تَعَلَّلْتَ حتى شَقَّت عليك الإجابة؟ فقال: إنما أبكي لأنّي لم أتفقد حالهُ، حتى احتاج إلىَّ أن سألني.

وقريبٌ من هذا أنَّ ابن المقفع بلغه أن جارًا له، يريد أن يبيع داره لدين ركبه، وكان يجلس في ظل داره، فقال: ماقمت إذن بحرمة ظل داره، إنْ باعها مُعْدمًا وبتُّ واجدًا، فحمل إليه ثمن الدار، وقال: لا تبعْ[١١٩].

وبلغ من حبهم إطعام الجائعين وسدّ رمقهم، أنهم يؤثرون الحيوانات الضالة الجائعة على أنفسهم، يروى في هذا الباب أن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، نزل يومًا على حائط به نخيل لقوم، وفيه غلام أسود يقوم عليه، فأتى بقوته ثلاثة أقراص، فدخل كلب، فدنا من الغلام، فرمى إليه بقرص، فأكله، ثم رمى إليه بالثاني، والثالث، فأكلهما، وعبد الله ينظر إليه، فقال ياغلام، كم قوتك كلّ يوم؟ قال: مارأيت، قال: فلم آثرت هذا الكلب؟ قال: أرضنا ماهي بأرض كلاب، وإنّه جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أرده، قال: فما أنت صانعٌ اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا[١٢٠].

فأيُّ تسامٍ هذا! وأيّ رحمة هي! وأين منها جمعيات الرفق بالحيوان؟!

رعاية اليتامى:

اليتامى فئة من طبقات المجتمع، تعاني البؤس والمرارة والحرمان، وهم يعانون ضعفًا مركبًا فهم ضعاف لأنهم صغار، عاجزون عن القيام بشؤونهم، وتأمين

---

[١١٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٤٦٢.

[١٢٠] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٤٨٩.

www.mtenback.com

حاجياتهم المادية والمعاشية، وهم ضعاف لأنهم فقدوا المعيل الذي ينهض بأعبائهم، ويتكفل بشؤونهم ورعايتهم حتى يشبوا عن الطوق، ويصبحوا قادرين على الكسب، وإعالة أنفسهم، وهم ضعاف لأنهم فقدوا الحنان والعطف والرعاية المعنوية، فمهما قدمت لهم مساعدات مادية، فإنها لا تعوضهم دفء عاطفة الأبوين، ولا تشبع احتياجاتهم النفسية والعاطفية. وبالإضافة إلى كل هذه التحديات التي تواجه اليتامى، فإنّهم يواجهون مشكلة الاعتماد على الغير، وما يصاحب ذلك من مشاعر الذل والمرارة، وفقدان الكرامة والخصوصية.

ولهذا كله فإن رعاية الأيتام وكفالتهم، والنهوض بشؤونهم وتخفيف معاناتهم، تعدّ من أفضل أعمال البر، وأعظم الواجبات الاجتماعية، وتنبع هذه الرعاية والعناية من منابع الرحمة والعطف، وحب العطاء، وبذل المعروف.

وقد اعتنى الإسلام عناية خاصة باليتامى، وحض على رعايتهم ماديًا ومعنويًا، فالله تعالى لم يدع اليتيم وحيدًا في الحياة الدنيا، بل أمر المسلمين برعايته وتعويضه عن فقده والده.

وكان الرسول عليه السلام أول من أُمر بهذه الرعاية حين قال له ربّه: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[١٢١]، ومع أن رسول الله، لم يكن محتاجًا لهذه الوصية، لكرم أخلاقه من جهة، ولأنّه ذاق طعم اليتم، وإنما - والله أعلم - أراد الله توجيه المسلمين أجمعين من خلال أمر الرسول بعدم قهر اليتيم، حتى لا يقهر أحدهم اليتيم بكلمة، أو فعل مهما كان صغيرًا، لأن اليتيم ذو نفس مرهفة، وهو مهيض الجناح، ضعيف الحال، مثقل بالبؤس والحرمان، فهو بحاجة إلى من يمسح على رأسه، ويجبر كسره، ويرفعه من مقام الذّلة والمهانة والضعف.

---

[١٢١] سورة الضحى: ٩.

www.mtenback.com

ولقد أوصى الله تعالى في غير آية باليتامى، وحض على الإحسان إليهم والاهتمام بهم من ذلك قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[١٢٢].

ومن عناية الله باليتامى أن جعل لهم نصيبًا من الفيء [١٢٣]، كما ينقصوا لهم حصة من الغنيمة [١٢٤]. كما أوصى سبحانه بالمحافظة على مال اليتامى وتنميتها، وعدم الأخذ منها، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٢٥].

وأمر الله الأوصياء أن يعيدوا إلى اليتيم ماله، إذا بلغ سن الرشد، ولا ينقص منه شيئ، وغير مبدل، كما كانوا يفعلون في الجاهلية، فقال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾[١٢٦].

وحذر من أكل أموال اليتامى أو التلاعب بها، وجعل عقوبة ذلك من أشد العقوبات وأفظعها، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[١٢٧].

فالعطف على اليتيم ورعايته، من الأمور العظيمة، والأعمال الفاضلة، وهو أمر لا يقوم به إلاّ من أوتي أخلاقًا كريمة، ونفسًا عزيزة، وكان يبتغي بأعماله وجه الله، ولا ريب أن ثوابه يكون عظيمًا، يتناسب وأهمية العمل وعظم المسؤولية، ولهذا لا

---

[١٢٢] سورة النساء: ٣٦.

[١٢٣] انظر ٧ من سورة الحشر.

[١٢٤] انظر ١٢٧ من سورة النساء.

[١٢٥] سورة الإسراء: ٣٤.

[١٢٦] سورة النساء: ٢.

[١٢٧] سورة النساء: ١٠.

www.mtenback.com

نستغرب إذا ما علمنا أن الرسول عليه السلام جعل منزلة كافل اليتيم أعلى منزلة، حيث جعله رفيقه في الجنة، وذلك عندما قال : «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئًا»[١٢٨].

فهذا المقام السامي، وتلك المنزلة السامقة، يطمح إليها كلّ مؤمن، فيكون ذلك دافعًا قويًا، ومحرضًا شديدًا على رعاية اليتيم، والعطف عليه، ورعاية مصالحه، والتخفيف من معاناته، وإزالة بؤسه.

وقد حث الرسول عليه السلام المسلمين على كفالة اليتيم وإطعامه، فقال: «من آوى يتيمًا إلى طعامه وشرابه، أوجب الله له الجنة»[١٢٩]. وبيّن عليه السلام أن أفضل البيوت هي تلك التي تكفل اليتامى وتضمهم إلى أفرادها، وتحسن إليهم، فقال: «خير بيت المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحْسَن إليه»[١٣٠].

ورعاية اليتيم لا تقتصر على النواحي المادية من طعام وشراب وكسوة وإيواء، بل تتعدى إلى الرعاية المعنوية، من عطف وحنان ليكون ذلك تعويضًا له عن حنوّ والديه وعطفهما، فالكلمة الطيبة والنظرة الحانية، والابتسامة الراضية، تفعل فعلها الطيب في نفس اليتيم، فينمو نموًا سليمًا، ويسلك مسلكًا حسنًا متوازنًا، فيصبح أكثر نشاطًا وفعالية، فيغدو عضوًا فعالاً ومنتجًا في مجتمعه لا عضوًا حاقدًا ناقمًا على الآخرين وغير منسجم معهم، وقد نبه الرسول الكريم إلى هذا، ولفت الأنظار إلى أهمية الرعاية المعنوية، فقد أُثر عنه قوله: «من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمدُّ عليها يده نور يوم القيامة»[١٣١].

---

[١٢٨] البخاري: صحيح البخاري، ص ١٠٥٠ رقم (٥٣٠٤).

[١٢٩] الغزالي: مكاشفة القلوب، ص ٩٦.

[١٣٠] المصدر السابق، ص٣١٣.

[١٣١] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٣٩٤.

www.mtenback.com

إن في الحنو على اليتيم والعطف عليه، وغمره بالحنان والرأفة، علاجًا ناجعًا للقلوب القاسية، فحينما شكا رجل إلى الرسول عليه السلام، قسوة قلبه، قال له: «امسحْ رأس اليتيم، واطعم المسكين»[١٣٢].

والحذر كل الحذر من القسوة على اليتيم، أو ضربه، أو إيذائه وخدش مشاعره، فإن هذه المعاملة القاسية تترك آثارها الأليمة في نفس اليتيم وسلوكه، فقد روي عن الرسول قوله: «إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه»[١٣٣].

وكان الرسول عليه السلام قدوة حسنة في رعاية اليتامى، والتخفيف من معاناتهم، فكان يلاطفهم، ويمسح على رؤوسهم، ويتكفل بمعيشتهم وتربيتهم، وكان من أسباب زواجه من بعض نسائه رعاية أولادهن اليتامى، فقد تزوج أم سلمة التي استشهد زوجها في أحد، وخلف صبية أيتامًا لا معيل لهم، فضمهم إلى بيت النبوة، ورعاهم خير رعاية، فخفف عنهم مرارة اليتم وألم الجوع[١٣٤].

ورعاية اليتامى والإحسان إليهم من أخلاق العرب التي فطروا عليها فكانوا يكفلونهم، ويتعهدونهم بالعطف والحنان، ويضمونهم إلى عيالهم.

وكان هذا العمل الجليل من مفاخرهم، ومما يمتدحون به، يقول أبو طالب ابن عبد المطلب[١٣٥]:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجهِهِ ثِمالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

---

[١٣٢] محمد إدريس: وصايا الرسول، منشورات دار الحكمة، بيروت، دمشق، ص ٦٧.

[١٣٣] الغزالي: مكاشفة القلوب، ص ٩٦.

[١٣٤] عبد الرحمن رأفت الباشا: صور من حياة الصحابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص٨٥، ومابعدها.

[١٣٥] البصري، علي بن أبي الفرج: الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ج١، ص١١٨.

www.mtenback.com

يَلُوذُ بِهِ الهُـــلاَّكُ مِـــنْ آلِ هَاشِـــمٍ فَهُـــمْ عِنْـــدَهُ فِي نِعْمَـــةٍ وَفَواضِـــلِ

السّعيُ على الأرامل:

الأرملة امرأة كسيرة القلب، مهيضة الجنـــاح، مثقلة بالهموم لفقدها زوجهـــا المعيل لها، فالترمل يمثّل حياة قاسية يصعب التكيف معها، خاصة مع وجـــود أطفـــال يتامى، وفي ظروف اقتصادية صعبة لا تجد الأرملة فيها ما يلـــبي حاجياتهـــا الماديـــة الأساسية، ومن أقسى ماتعانيه الأرملة العزلة والتفرقة، فهي حزينة ضعيفـــة، فمهمـــا قدمت لها من مساعدات مادية، فإنّها لا تعوضها عن احتياجاتها المعنويـــة والنفســـية والعاطفية، كما أنها تعاني مشكلات الاعتماد على الآخرين، وما يصاحب ذلك مـــن مشاعر الهوان والضعة وفقدان الكرامة.

ولذلك فإنّ السعي على الأرملة من الأعمال الحسنة، والفضائل العظيمـــة، لأن السعي في حاجاتها، وقضائها ضمادٌ لجراحها وجبر لكسرها وتخفيف لآلامها النفســـية، وتفريج لكربها وهمومها، وإعادة الحياة الطبيعية لها، فيكون ذلك وصلاً لها بـــالمجتمع وصلاً تامًا، بحيث يكون المجتمع كالأسرة الواحدة، يعيل القوي الضعيف ويشدّ أزره.

وقد أهتم الإسلام بالأرملة، وجعل رعايتها والسعي عليها من فضائل الأعمال، وأنه كالجهاد في سبيل الله، قال الرسول عليه السلام: «الساعي على الأرملة والمســـكين كالمجاهد في سبيل الله» وقال الراوي: «وأحسبه قال: كالقائم لا يفـــتر، والصـــائم لا يفطر»[١٣٦].

وهذا الأجر العظيم والثواب العريض، يتناسب مع هذا العمل الإنساني الكبير، وأيُّ عمل أفضل من أن يسعى إنسان على أرملة ضعيفة فقدت زوجها، الذي كـــان أنيسها وراعيها ورفيقها في دروب الحياة الشاقة، فلما فقدته اسودّت الدنيا في عينيهـــا،

[١٣٦] البخاري: صحيح البخاري، ص١١٦٤ رقم (٦٠٠٧).

www.mtenback.com

وانكفأت على نفسها تكابد آلام الوحشة والحزن وغمرتها الهموم، وفقدت بفقده المعيل والراعي، فلا غرابة أن نعلم أن من يسعى على هذه الأرملة البائسة، ويخفف أحزانها، ويزيل كربتها، ويؤمن حاجاتها المادية، فيعيد لها بسمتها وبهجتها للحياة، أقول لا غرابة أن نعلم أنَّ مثل هذا العمل بمنزلة الجهاد في سبيل الله، وبمنزلة الصيام والقيام.

ولا عجب أيضًا أن ترى ولاة الأمور يولون الأرامل عناية خاصة ويتكفلون بهن، ويخففون من معاناتهن، ويفرضون لهن من العطاء مايفي بحاجاتهن، من ذلك أن امرأة عراقية وفدت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فسألها عن حاجاتها، فقالت: لي خمس بنات كسل كسد، جئتك أبتغي حسن نظرك لهن، فجعل يقول كسد كسل، ويبكي، فأخذ الدواة والقرطاس وكتب إلى والي العراق وفرض لهن مايكفيهنّ[١٣٧].

والسعي على الأرملة، وكشف ضرها، ومد يد العون لها ولأولادها خلق عربي نبيل، تخلق به العرب منذ القدم، فكانوا يتكفلون بهن وبأبنائهن، ويقضون حوائجهن، ويزيلون مالحق بهن من ضر وجوع وبؤس، ويضمونهنّ إلى عيالهم ، فلا يفرقون بينهم بالرعاية والعناية، يقول زرعة بن عمرو[١٣٨]:

وَأَرْمَلَةٍ تَنُوءُ علَى يَدَيْهَا ... مِنَ الضَرَّاءِ أو قَصَصِ الهُزالِ

خَلَطْتُ بِغَثِّهَا سِمَنِي فَأَضْحَتْ ... شَرِيكَةَ مَنْ يُعَدُّ مِنَ العِيالِ

وإن كان زرعة قد ساوى بين الأرملة وعياله، فجعلها شريكة لهم، فإن حاتم الطائي يفضلها وأبناءها على أولاده، ويؤثر الجميع على نفسه في السنة الشديدة والعام

---

[١٣٧] انظر عبد الله بن عبد الحكم: الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، تحقيق: أحمد عبيد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص١٦٩-١٧٠.

[١٣٨] التبريزي، يحيى بن علي: شرح ديوان الحماسة، عالم الكتب، بيروت، ج٣، ص ١٢٦-١٢٧.

www.mtenback.com

القحيط اللذين أهلكا المال ، فَفُقد الطعام، وأشرف الناس على الهلاك، ولنستمع إلى امرأته نوار، وهي تروي لنا قصة ذلك الإيثار العظيم، والشفقة الرائعة على الأرملة وأولادها، قالت: «أصابتنا سنة اقشعرّت لها الأرض، واغبرّ أفق السماء، وراحت الإبل حُدبًا حدابير، وضنت المراضع على أولادها فما تبضّ بقطرة، وحلقت السنة المال، وأيقنا بالهلاك، فو الله إنّا لفي ليلة صِنّبْر[١٣٩] بعيدة ما بين الطرفين، إذ تضاغى صبيتنا جوعًا: عبدالله وعدي وسَفّانة، فقام حاتم إلى الصّبيّين، وقمت أنا إلى الصبيّة، فوالله ما سكتوا إلاّ بعد هَدْأة من الليل، وأقبل يعللني بالحديث، فعرفت ما يريد فتناومت، فلمّا تهوّرت النجوم، إذا شيء قد رفع كِسْر البيت ثم عاد، فقال: من هذا؟ قالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاوون عُواء الذئاب، فما وجدت مُعَوّلاً إلاّ عليك يا أبا عَدِي، فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم، فأقبلت المرأة تحمل اثنين، ويمشي بجانبها أربعة، كأنّها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه، فوجأ لبته بمُدْية، فخرّ، ثم كشطه عن جلده، ودفع المدية إلى المرأة فقال لها: شأنك، فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتًا بيتًا، فيقول: هبّوا أيها القوم، عليكم بالنار، فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا، فلا والله إنْ ذاق منه مُزعة، وإنّه لأحوج إليه منّا، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر»[١٤٠].

فهل بعد هذا الإيثار إيثار؟! وهل بعد هذه الشفقة على الأرامل شفقة؟! إنّه الخلق العربي النبيل الذي فطر على حب مساعدة الآخرين وتقديم العون لهم، وإيثارهم على النفس والعيال.

---

[١٣٩] الصِّنّبْر: الريح الباردة، القاموس المحيط ص ٥٤٨ (الصنبور).

[١٤٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ج ١، ص١٩٧-١٩٨.

www.mtenback.com

رعاية المرضى والمعاقين:

المرض ضرب من ضروب الضعف البشري، بل هو أقسى أنواع الضعف وأشده، يفقد فيه الإنسان قوته وصحته، فيصبح ضعيفًا عاجزًا يعاني أشد الآلام الجسدية والنفسية، فيغدو بحاجة ماسة إلى من يقف إلى جانبه، يخفف من آلامه، ويعتني به عناية شاملة، من تقديم العلاج والطعام، والتمريض، ومساعدته في قضاء حاجاته الضرورية.

والإعاقة ضرب آخر من العجز والضعف، يفقد فيه المعاق القدرة على العمل كليًا أو جزئيًا، فيعاني جراء ذلك أقسى أنواع الحرمان الاقتصادي والاجتماعي والنفسي.

فهذان صنفان من ذوي الضعف والعجز، يحتاجان إلى من يقف إلى جانبهم وقفة رحمة ومواساة، فهم أولى من غيرهم بالعناية والرعاية، وكشف ما لحق بهم من ضر وبؤس.

وأول هذه الواجبات التي ينبغي للإنسان أن يقوم بها تجاه هؤلاء المرضى والمعاقين عيادتهم مواساةً لهم، وتسلية لنفوسهم، وإشعارًا لهم بأن هناك من يهتم بأمورهم وشؤونهم، ويسأل عنهم، ويتفقد أحوالهم، ويقف إلى جانبهم في محنهم وبلائهم، فهم ليسوا مهملين، ولا متروكين وحدهم يواجهون المرض والعجز. يتجرعون غصص الألم والحسرة، وهذا من الآداب الاجتماعية، وحق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، لأن المريض في وضع يدعو إلى مواساته والوقوف إلى جنبه لتخفيف آلامه النفسية، فهو بحاجة إلى من يسليه، ويروح عنه، ويرفع من روحه المعنوية التي لها حظ كبير في مواجهة المرض وآلامه، ومثل هذه الزيارات المتكررة للمريض، تمثل خيطًا من خيوط ترابط نسيج المجتمع وتلاحمه وتماسكه.

قال الرسول عليه السلام: «حق المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام وعيادة المريض...»[١٤١] وأمر عليه السلام بزيارتهم وحض عليها، فقال: «وعودوا

---

[١٤١] البخاري: صحيح البخاري، ص ٢٤٣ رقم (١٢٤٠).

www.mtenback.com

المريض»[١٤٢]، وكان يقوم بنفسه بهذا العمل الإنساني العظيم فيعود المرضى ويزورهم ويلاطفهم ويواسيهم ويدعو لهم بالشفاء[١٤٣].

فهذا الأدب الرفيع يرتبط بخلق العطاء عند المسلم، وهو يعبر تعبيرًا صادقًا عن مبلغ التآخي بين المسلمين، ويوثق روابط الصلة بينهم، ويزيد من وشائج المحبة، وأواصر المودة، لاسيما أن حالة المريض فيها من الانكسار النفسي ما يجعله رقيق الحاشية، فيّاض العواطف، مهيأً نفسيًا للتأثير فيه، وامتلاك مشاعر المحبة في قلبه، والمحبة متى وجدت في طرف سرت غالبًا إلى الطرف الآخر بقوة نفاذها، وقوة عدواها[١٤٤].

ولا أدل على أهمية عيادة المرضى وما فيها من علاج نفسي عظيم لهم، من الحديث القدسي الذي يقول فيه الرسول عليه السلام: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يابن آدم، مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك، وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنّك لو عدته لوجدتني عنده»[١٤٥].

ومن تفريج كربات المريض تقديم الدواء والعلاج له، إن لم يكن قادرًا على ذلك. فكثير من الأمراض يكلف علاجها أموالاً فلا يقدر المريض ولا ذووه على ذلك العبء الثقيل، فيزداد المريض عندئذٍ مرضًا على مرض وبؤسًا على بؤس، وعندما ينهض رجل موسر فيتكفل بذلك، ويؤمن علاج هذا المريض على نفقته الخاصة، مهما كان مقداره، فإن هذا العمل الجليل يعدُّ ذروة في الكرم والعطف، ومساعدة المحتاجين،

---

[١٤٢] المصدر السابق: ص ١٠٢٤ رقم (٥١٧٢).

[١٤٣] انظر المصدر السابق ص ١١١٠ رقم (٦٥٤٨). وانظر البيهقي، أحمد بن الحسين، الآداب، تحقيق: عبد القدوس بن محمد نذير، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ص١٤٢.

[١٤٤] عبدالرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، بيروت، ط ١، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٢٠٧.

[١٤٥] النووي: رياض الصالحين، ص ٣٥٦ رقم (٩٠١).

www.mtenback.com

فيشعر المريض وذووه بالراحة والاطمئنان والسعادة، ويتيقنون أنهم ليسوا مهملين أو منبوذين، بل إن هناك من يشعر بشعورهم ويتألم لألمهم، فهذا العمل الإنساني الجليل ينم عن أريحية عربية نبيلة، تندفع لنجدة أصحاب الحاجات وتفريج همومهم.

وقد تكون هذه المساعدة جماعية، على شكل جمعيات بر وخير تتولى فتح المستوصفات والمستشفيات، لمعالجة المرضى الذين يعجزون عن دفع تكاليف المستشفيات والعلاج ومستلزماته.

وهناك جمعيات أصدقاء المرضى، التي تأخذ على عاتقها مساعدتهم والوقوف إلى جانبهم، وتخفف من معاناتهم، وتشجعهم على مواجهة المرض بالصبر والإيمان، وتقدم لهم كلّ دعم مادي أو معنوي، فيصبح المجتمع بأسره كالأسرة الواحدة، يتفانى كل فرد فيها في خدمة أعضائها وإسعادهم.

أما المعاقون وأصحاب العاهات المزمنة كالعميان والصم والمقعدون وغيرهم، فهم بحاجة ماسة إلى الرفق بهم ومساعدتهم، ومواساتهم لتخفيف مصابهم فلا يتركون فريسة لهمومهم وهواجسهم، وشعورهم بالنقص والدونية والعجز. بل لابدّ من مد يد العون والمساعدة لهم. وقد أوصى الرسول عليه السلام بهم ودعا إلى الرحمة بهم فقال: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[١٤٦].

وحضّ عليه السلام على مساعدة المعاقين، والأخذ بأيديهم، فقال: «وبصرك للرجل الرديء البصر صدقة»[١٤٧]، وقال أيضًا: «مَنْ قاد أعمى أربعين خطوة، لم تمسَّهُ النار»[١٤٨].

وهذا الأجر العظيم لا يقتصر على الأعمى وضعيف البصر خاصة، بل يشمل جميع أصحاب العاهات والمعاقين على اختلاف إعاقاتهم.

---

[١٤٦] البخاري: صحيح البخاري، ص ١٤٠٦ رقم (٧٣٧٦).

[١٤٧] عبد الحي فخري الدين الحسيني: تهذيب الأخلاق، دار الاعتصام، ص ٦٤.

[١٤٨] الأبشيهي: المستطرف، ج ٣، ص ٣٠١.

www.mtenback.com

هذه التوجيهات والإرشادات، لم تكن كلامًا نظريًا فحسب، وإنّما تحوّلت إلى تطبيق عملي، فكان كل مسلم يحرص على أن يؤدي خدمة ومساعدة إلى معاق أو مريض، مع شعوره أنه ملزم بذلك، وأنه يؤدي واجبًا عليه تجاه هذه الفئة من أبناء مجتمعه، وهذا الواجب كان يقوم به الأفراد والمسؤولون على حدّ سواء، وإن كان على المسؤولين أوجب وآكد، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم تشغله أمور الخلافة عن أن يتفقد أمثال هؤلاء، فيقضي حاجاتهم، ويطمئن عليهم بنفسه دون أن يوكل هذا الأمر إلى غيره، حتّى إنّه كان كلّ يوم يتفقد عجوزًا عمياء مقعدة، فيقدم لها الطعام والشراب، ويكنس بيتها[١٤٩].

أما عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، فقد أولى المعاقين وأصحاب العاهات عناية فائقة، ونظم شؤونهم تنظيمًا محكمًا، لا يقل شأنًا عمّا تقوم به المؤسسات الاجتماعية، ودور رعاية المعاقين في أيامنا هذه. إذ أمر بإحضارهم، وتدوينهم في الدواوين، وجعل لكل مريضين خادمًا، ولكل أعمى قائدًا، يقوم بشؤونه، وفرض الأعطيات لأصحاب الأمراض المستعصية، والعاهات المستديمة، لتساعدهم على تأمين احتياجاتهم، وتخفف من مصابهم ومعاناتهم. يقول الحكيم بن عمر الرُّعَيْني: «شهدت عمر بن عبدالعزيز وقد جاءه صاحب الرقيق، فسأل أرزاقهم وكسوتهم وما يصلحهم، فقال عمر: كم هم؟ قال: هم كذا وكذا ألفًا، فكتب إلى أمصار الشام، أن ارفعوا إليّ كلّ أعمى في الديوان أو مقعد، أو من به الفالج، أو من به زَمانة، تحول بينه وبين القيام إلى الصلاة، فَرُفعوا إليه، فأمر لكل أعمى بقائد، وأمر لكل اثنين من الزمنى بخادم»[١٥٠]. وذكر الواقدي أنه أعطى الزمنى خمسين خمسين[١٥١].

---

[١٤٩] أحمد فرج عقيلان: أبطال ومواقف، دار الفرج الدولية، ط١، (١٤١٥٤هـ/١٩٩٥م)، ص٥٤.

[١٥٠] عمر بن عبدالعزيز، أعلام المسلمين، ص٣١١.

[١٥١] المصدر السابق، ص ٣٠٥.

www.mtenback.com

فهذه رعاية شاملة ومنظمة، لهذه الفئة من أفراد المجتمع، التي فقدت كثيراً من مقومات الحياة، لكنها لم تفقد العون والرعاية والمساعدة المادية والمعنوية، وهذا يعود إلى ما جبل عليه العربي من نبل وكرم وحبّ عون المحتاجين وتنفيس كربهم، وإلى ما بثه الإسلام من خلق الرحمة والرأفة في النفوس، ودعوته إلى المسارعة إلى تفريج كرب المكروبين، وما رتب على ذلك من أجر وثواب عظيمين.

ومن هذا الباب مساعدة المسنين الذين أنهكتهم السنون فأضعفت قواهم، وقوست ظهورهم، وبدلت حيويتهم ونشاطهم عجزاً وانكساراً، فهذه الفئة من المجتمع بحاجة إلى من يساعدهم ويعطف عليهم، ويسعى في حوائجهم، وتتمثل مساعدة هؤلاء بجملة مظاهر من مساعدة مادية، كمساعدتهم في النهوض أو الجلوس، والإفساح لهم في الطرقات. ومساعدة معنوية كالتكريم والاحترام، والتواضع والتذلل لهم. وقد جاءت تعاليم الإسلام السمحة تحضّ على مساعدة الكبار وإجلالهم واحترامهم.

وقد قرن الرسول عليه السلام إجلال الله عز وجل بإكرام المسنين، فقال[١٥٢]: «إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذي الشيبة المسلم».

وجعل ثواب من يكرم الشيوخ ويساعدهم من جنس العمل، فمن يساعد شيخاً عاجزاً فلا بد أن يجد من يساعده عندما يصل إلى تلك الحالة من العجز والضعف، فقال[١٥٣]: «ما أكرم شابٌ شيخاً لسنه إلاّ قيّض الله له من يكرمه عند سنه».

ولا شك أن أولى الشيوخ بالمساعدة والعون، الوالدان المسنان لما لهما من كبير فضل لا يُقَدَّر على أولادهما، ولذا جاءت تعاليم الإسلام تحض على البر بالوالدين

---

[١٥٢] النووي: رياض الصالحين، ص ١٨٣ رقم (٣٥٨).

[١٥٣] المصدر السابق، ص ١٨٥ رقم (٣٦٣).

www.mtenback.com

والعطف عليهما، خاصة عندما يطعنان في السن، ويصلان مرحلة العجز والشيخوخة، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١٥٤].

وجعل الرسول عليه السلام رعاية الوالدين المسنين، والقيام عليها، يعادل الجهاد في سبيل الله، فقد جاءه رجل وقال: أبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجر من الله تعالى، قال[١٥٥]: فهل لك من والديك أحدٌ حيٌّ؟ قال: نعم. قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما، وفي رواية البخاري: «ففيهما فجاهد».

عون المظلوم:

الظلم بمعناه العام، يكون من ظواهر قسوة القلب بفقدان الرحمة.

وربما يكون من ظواهر الانحراف عن الحق، وفقدان خلق حبّ الحق، والتمسك به. وهو من أقسى المحن التي تلحق بالنفس البشرية، ومن أشدها قهرًا وعذابًا، فالمظلوم إنسان فقد العدل والمساواة، فانتابه شعور مرير كالعلقم من الذل والهوان، والدونية والاحتقار، فحقه مهضوم، وجناحه كسير، فيمتلئ قلبه حقدًا وكراهية لمجتمعه الذي لم ينصفه، فيتفكك المجتمع وينذر بالدمار والخراب.

ولهذا شدّد الله تعالى على الظالمين، وتوعدهم بأقسى أنواع العقاب، فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[١٥٦]، وقال أيضًا: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ

---

[١٥٤] سورة الإسراء: الآيات ٢٣-٢٤.

[١٥٥] النووي: رياض الصالحين، ص١٧٢ رقم (٢٣٢٦) وانظر البخاري، ص٥٧٥ رقم (٣٠٠٤).

[١٥٦] سورة الكهف: ٢٩.

www.mtenback.com

مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[١٥٧] والظالمون ملعونون مطرودون من رحمة الله بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[١٥٨]، والظالم لن يفلت من عقاب الله أبدًا، فالله للظالمين بالمرصاد، مهما طال الظلم وامتد زمنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[١٥٩]، وقال الرسول عليه السلام: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[١٦٠]، وجعل دعوة المظلوم لا ترد، فقال: «اتّق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[١٦١].

ولما كان الظلم بهذه القسوة على المظلوم، وبهذه البشاعة التي تسلب منه حقه، فإن رفع الظلم والحيف عنه، يعدُّ من أنبل الأعمال، وأفضل الأفعال.

ولاسيما إن كان المظلوم لا سند له، من أسرة أو قريب أو صديق. والعربي الذي يأبى الضيم، ويكره الظلم، فإنَّه يهبُّ مسرعًا لنجدة المظلوم، وإزالة ظلامته، وكان من ضمن المفاهيم الجاهلية التناحر القبلي أو العائلي، فأي ظلم يقع على فرد من أفراد القبيلة، يهب له جميع أفراد القبيلة لنصرته، وكذلك الأسرة الواحدة تقف إلى جانب المظلوم من أبنائها حتى ترفع عنه الظلم والحيف، وهذا جانب مُشْرِق ومُشرِّف لا ريب، إلا أن الروح القبلية ومبدأ التناحر فيما بينها كان له جانب مظلم، وهو أن مبدأ التناصر كان يقضي أن تقف القبيلة أو الأسرة وراء أي من أفرادها، وتنصره وإن كان ظالمًا، يقول شاعرهم[١٦٢]:

---

[١٥٧] سورة الشعراء: ٢٢٧.

[١٥٨] سورة هود: ١٨.

[١٥٩] سورة إبراهيم: ٤٢.

[١٦٠] البخاري: صحيح البخاري، ص ٤٦١ رقم (٢٤٤٧).

[١٦١] المصدر السابق، ص ٤٦٢ (رقم ٢٤٤٨).

[١٦٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٨٥.

www.mtenback.com

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْـــه لَهُـم   طَارُوا إِلَيْــهِ زُرَافَــاتٍ وَوِحْدَانــا
لا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِيْــنَ يَنْدُبُهُـم   في النَّائِبَاتِ على ما قَــالَ بُرهَانــا

فهم لا يسألون من استنصر بهم إن كان على حق أو باطل، بل ينصرونه في كلتا الحالتين.

ولما جاء الإسلام ألغى هذا المفهوم القبلي في التناصر الذي يتنافى مع الأسس التي تقوم عليها مكارم الأخلاق، وأحلّ مَحلّه المفهوم الأخلاقي السليم الذي يقوم على نصرة المظلوم على الظالم، مهما كان المظلوم بعيدًا، أو الظالم ذا قربى [١٦٣]. وهذا المفهوم الإسلامي توضحه جملة من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[١٦٤]. ومنها أيضًا قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[١٦٥].

ويوضحه أيضًا قول الرسول عليه السلام: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تأخذ فوق يده»[١٦٦]، ومعنى تأخذ فوق يده تمنعه وتردعه عن الظلم فإن ذلك نصره. وفي حديث آخر قال راويه: «أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع، فذكر نصر المظلوم...»[١٦٧].

ونصرة المظلوم من مكارم الأخلاق، بل تأتي في الذروة منها، فأي عمل أنبل وأسمى من أن يرى إنسانٌ شخصًا ضعيفًا قد ظلم وحرم حقه، ولا سند له، ولا من

[١٦٣] انظر: عبدالرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، جـ ٢، ص ٢٠٤.

[١٦٤] سورة الأنعام، ١٥٢.

[١٦٥] سورة المائدة: ٨.

[١٦٦] البخاري: صحيح البخاري، ص ٤٦١ (٢٤٤٤).

[١٦٧] المصدر السابق، ص ٤٦١، رقم (٢٤٤٥).

www.mtenback.com

يقف إلى جانبه ولو بكلمة. ثم ينهض هذا الإنسان فيدفع عنه هذا الظلم، ويعيد له حقه، على حسب قدرته وطاقته، فقد تكون النصرة بالكلمة الطيبة، أو بشهادة نافعة.

وقد تكون النصرة شفاعة حسنة يقوم بها ذوو الجاه والمنزلة الاجتماعية فقد قالوا: «بذل الجاه زكاة الشرف»[١٦٨]، وروي عن الرسول عليه السلام قوله: «إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه»، كما يسأله عن عمره، فيقول له: «جعلت لك جاهًا، فهل نصرت به مظلومًا، أو قمعت به ظالمًا؟»[١٦٩] وقد تكون النصرة باستخدام قوة السلطان المادية أو المعنوية.

فنصرة المظلوم ظاهرة خلقية، منشؤها خلق حبِّ العطاء والبذل، وإلى ما يقتضيه دافع الأخوّة والجماعة، ومن شأن ذلك أن يوثق الصلات الحميدة بين أفراد المجتمع الواحد، وينشر روح المحبة والمودة والتعاطف والتعاون فيما بينهم، ويصرف عنهم عوامل التفرقة والخلاف، والعداوة والبغضاء.

ولهذا كان ولاة الأمور يحاولون دائمًا نصرة المظلوم، وإزالة ظلامته وإنصافه، وأخذ حقه من غاصبه مهما كان شأنه وسلطانه، وقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع المصري الذي ضربه ابنٌ لعمرو بن العاص معلومة مشهورة، رواها الأبشيهي فقال[١٧٠]: «بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قاعدٌ، إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك، فقال عمر: لقد عذت بمجير، فما شأنك؟ فقال: سابقت بفرسي ابنًا لعمرو بن العاص، وهو يومئذ أمير على مصر، فجعل يُقَنِّعني بسوطه، ويقول: أنا ابن الأكرمين! فبلغ ذلك عمرًا أباه، فخشي أن آتيك فحبسني في السجن، فانْفَلَتُّ منه، فهذا الحين أتيتك، فكتب عمر إلى عمرو

---

[١٦٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣ (١٩٩).

[١٦٩] الأبشيهي: المستطرف، ٣ (/٣٩٥)

[١٧٠] الأبشيهي: المستطرف، ج١، ص ٣٤١-٣٤٢.

www.mtenback.com

ابن العاص إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان، وقال للمصري: أقم حتى يأتيك، فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج. فلما قضى عمر الحجّ وهو قاعد مع الناس، وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصري، فرمى إليه عمر رضي الله عنه بالدُّرة. قال أنس رضي الله عنه - راوي الخبر - فلقد ضربه، ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع حتّى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول اضرب ابن الأكرمين، قال: يا أمير المؤمنين، قد استوفيت واشتفيت، قال: ضعها على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني، قال: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع، ثم أقبل على عمرو بن العاص، وقال: يا عمرو: متى استَعبَدْتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، فجعل عمرو يعتذر إليه، ويقول: إنّي لم أشعر بهذا».

لقد تجلت في هذا الخبر نصرة المظلوم بأروع صورة، وأوضح مثال. فعمر رضي الله عنه كان بوسعه أن يسترضي الرجل ويطيب خاطره بمعسول الكلام، لكن عدله، وحبه لنصرة المظلوم، جعلاه يستدعي الوالي وابنه على بعد المسافة ومشقة السفر، وعظم مسؤولية الوالي. ثم يأمر الرجل أن يضرب خصمه على مرأى من الناس وأمام أبيه، ثم يقول للرجل: ضعها على صلعة عمرو. وهذه جملة لها دلالة عظيمة، فابن عمرو لم يقدم على ما أقدم عليه إلا لأن أباه هو الوالي.

ومن هذا الباب أن أحد الولاة غصب رجلاً ضيعة في عهد أبي جعفر المنصور فجاء الرجل إلى المنصور، فقال له: أصلحك الله يا أمير المؤمنين، أأذكر حاجتي أم أضرب لك قبلها مثلاً؟ فقال: بل اضرب المثل، فقال: إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهه، فإنما يفزع إلى أمه، إذ لا يعرف غيرها، وظنًا منه أن لا ناصر له غيرها، فإذا ترعرع واشتد كان فراره إلى أبيه، فإذا بلغ وصار رجلاً، وحدث به أمر، شكاه إلى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه، فإذا زاد عقله شكاه إلى السلطان لعلمه أنّه أقوى ممن

www.mtenback.com

سواه، فإن لم ينصفه السلطان شكاه إلى الله تعالى، لعلمه أنّه أقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة، وليس أحدٌ فوقك أقوى منك إلا الله تعالى، فإن أنصفتني وإلاّ رفعت أمري إلى الله تعالى في الموسم، فإني متوجه إلى بيته وحرمه، فقال المنصور: بل ننصفك، وأمر أن يكتب إلى واليه برد ضيعته إليه[١٧١].

ومن ذلك أيضًا أن رجلاً قال لسليمان بن عبدالملك: اذكرْ يوم الأذان، فقال سليمان ما يومُ الأذان؟ فقال: قال الله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[١٧٢]. قال: فما ظلامتك؟ قال: أرضٌ لي بمكان كذا وكذا، أخذها وكيلك فكتب إلى وكيله: ادفع إليه أرضه، وأرضًا مع أرضه [١٧٣].

عون الأسير والسجين:

الأَسْرُ تجربة مرة، يعاني منها الأسير ما يعاني من ذُلّ الأسر، وفقد الحرية. وكانت القبائل العربية تتبادل الأسرى بعد كلّ معركة تدور بينها، وإذا ما تبقى بعضهم لدى أحد الطرفين، فإما أن يفتدوا بالمال، وإما أن يصبحوا موالي أو مماليك، إذا تعذر الفداء.

وكانت بعض القبائل تبطئ أحيانًا في فكاك أسيرها، كما حدث للشاعر عبد يغوث الحارثي، عندما أسرته قبيلة تيم، فأنشد قصيدة يشكو مرارة الأسر، ويعتب على قومه، إذ لم يسرعوا في فكاكه، فيقول[١٧٤]:

---

[١٧١] الأبشيهي: المستطرف، ج ١، ص ٣٢٧.

[١٧٢] سورة الأعراف: ٤٤.

[١٧٣] الأبشيهي: المستطرف، ج ١، ص ٣٣٧.

[١٧٤] ابن ميمون، محمد بن المبارك: منتهى الطلب في أشعار العرب، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، يصدرها فؤاد سزكين، طبع بالتصوير، مكتبة السليمانية في استانبول، م١، ص١٥٨.

www.mtenback.com

أَلاَ لاَ تَلُومَاني كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا ... فَمَا لَكُما في اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلاَ لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُهَا ... قَليلٌ وَمَا لَوْمِي أَخي مِن شَماليا
جَزَى اللهُ قَوْمِي بالكُلاب مَلاَمَةً ... صَرِيْحَهُمُ والآخَرِينَ المَوَاليا
ولو شِئْتُ نَجَّتْني من الخَيْل نَهْدَةٌ ... تَرَى خَلْفَها الحُوَّ العِتَاقَ تَواليا
وَلَكنَّني أَحْمِي ذِمَارَ أَبِيْكُمُ ... وَكَان الرِّمَاحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِن لِسانِيا
أَمَعْشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكْتُمْ فَأَسْجِحُوا ... فَإنَّ أَخَاكُم لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوائِيَا
وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَ قَبْلِي أَسِيرًا يَمانِيا

لقد صور الشاعر مَرارة الأسر، والعذاب النفسي الذي كان يلفه من كل جانب، حتى إن آسريه منعوه من الكلام الذي لو نطق به لخفف كثيرًا من آلامه، وقسوا عليه أكثر عندما ربطوا لسانه بنسعة، حتى أصبحت النساء يسخرن منه، ويضحكن عليه، حتى غدا وهو البطل الشجاع ضعيفًا أمام من أسروه، فيستعطفهم، ويسترحمهم لعلهم يخففون عليه، فهل بعد هذه الشدة شدة؟! وهل بعد هذا الإذلال إذلال؟!

ولهذا كان أصحاب الجاه والمكانة الاجتماعية يبادرون إلى فكاك الأسرى، ويبذلون أموالهم رخيصة في تفريج كربهم. وإعادة الحرية لهم، فطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فكَّ عشرة من أُسارى بدر، بعدما دفع فداءهم (١٧٥).

وجاء في العقد الفريد(١٧٦): «ومرَّ حاتم في سفره على عَنَزَةَ وفيهم أسير، فاستغاث بحاتم، و لم يحضره فكاكه، فاشتراه من العنزيين وأطلقه، وأقام مكانه في القيد حتى أدّى فداءه».

(١٧٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج١، ص ٤٥٤.

(١٧٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ١، ص ١٩٧.

www.mtenback.com

وقد يتجشم الرجل عناء السفر، ويَفِدُ من بلد إلى آخر في سبيل فكاك الأسرى وإطلاق سراحهم، وإعادة حريتهم، روى أبو الفرج أن النعمان بن الحارث أسر من طيّيء سبعين رجلاً، وكان حاتم الطائي غائبًا، فلما قدم على قومه، جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فتقول: يا حاتم: أُسر أبو هذا، فلم يلبث إلاّ ليلة، حتى سار إلى النعمان، فدخل عليه، وأنشده فأعجب به، واستوهبه الأسارى. فوهب له جماعة منهم، هم بنو امرئ القيس ثم عاد إليه فأنشده:

إنَّ امْرَأَ القَيْسِ أضْحَتْ مِنْ صَنِيعَتِكُمْ ... وَعَبْدَ شَمْسٍ أَبَيْتَ اللعْنَ فَاصْطَنِعِ

فأطلق له بني عبد شمس، وظل قَيْس بن جَحْدَر، فقال له النعمان: أبقي أحدٌ من أصحابك، فقال حاتم:

فَكَكْتَ عَدِيًّا كُلَّهَا مِنْ إِسَارِهَا ... فَأَفْضِلْ وشَفِّعْنِي بِقَيْسِ بنِ جَحْدَرِ

أَبُوهُ أَبِي، والأُمَّهَاتُ امُّهاتُنَا ... فَأَنْعِمْ فَدَتْكَ النَّفْسُ قَوْمِي ومَعْشَرِي

فأفرج عنه (١٧٧).

والسعي في فك الأسارى يعد في الذروة من مكارم الأخلاق لما فيه من تفريج هم هذه الفئة التي فقدت حريتها. فابنة حاتم الطائي عندما وقعت في أسر المسلمين، قابلت الرسول عليه السلام، وقالت له: «إنَّ أبي كان سيد قومه، يفكّ العاني، ويقتل الجاني، ويحفظ الجار، ويحمي الذمار، ويُفَرِّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ويحمل الكلّ، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحدٌ في حاجة فرده خائبًا، أنا بنت حاتم الطائي» فقال لها النبي عليه السلام: «يا جارية، هذه صفات المؤمنين حقًا،

(١٧٧) انظر: أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني، بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج١٧، ص٢٨٨.

www.mtenback.com

لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»[١٧٨].

ولما جاء الإسلام، فإنّه لم يلغ الأسر، لأنه عمل يقوم على المعاملة بالمثل، فلا يمكن إلغاؤه من جانب واحد، إلاّ أنّه حثّ على حسن معاملة الأسير، وإكرامه وعدم إيذائه. فعندما أقبل الرسول عليه السلام بأسارى بدر وزعهم على أصحابه، وقال لهم: «استوصوا بالأسارى خيرًا»[١٧٩]. وقد ترجمت هذه الوصية إلى واقع عملي، فقال أحد هؤلاء الأسرى: فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلاّ نفحني بها، فأستحيي فأردها، فيردّها عليّ ما يمسها [١٨٠].

فليس الغاية من الأسر الإهانة والإذلال والتعذيب، إنما هي المعاملة بالمثل أوجدتها قوانين الحروب، فلم يُرْوَ أن المسلمين الأوائل عذبوا الأسرى أو أهانوهم، وإنما كانوا يعاملونهم بالحسنى حتى إنه في أسارى بدر أطلق الرسول عليه السلام نفرًا منهم بغير فداء بعد أن أخذ عليهم ألاّ يقاتلوه ولا يظاهروا عليه[١٨١]. وقد أوصى في غير هذه المناسبة بتخليص الأسير من أسره، فقال: «فكُّوا العاني»[١٨٢].

وبهذا يكون الإسلام قد أقرّ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا مبدأ حسن معاملة الأسرى، وطبقه تطبيقًا عمليًا. في حين عجزت القوانين الدولية لحقوق الأسرى حتى

---

[١٧٨] انظر: الأبشيهي: المستطرف، ج ١، ص ٥١٥.

[١٧٩] ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ج٢، ص٣٠٠.

[١٨٠] المصدر السابق نفسه.

[١٨١] المصدر السابق نفسه.

[١٨٢] البخاري: صحيح البخاري، ص ١٠٢٤ رقم (٥١٧٤).

www.mtenback.com

عصرنا الحاضر من تحسين معاملتهم، فلا نزال نسمع حتى يومنا هذا أن كثيراً من الدول تسيء معاملتهم، فيذيقونهم شتى ألوان التعذيب والإهانة.

أما السجن فتجربة قاسية، يتعذب السجين فيها عذاباً نفسياً لا يطاق، خاصة إن كان مظلوماً في سجنه، فَتُقَيَّد حريته ويشعر وكأنه في قبر وإن كان حيًّا، جاء في عيون الأخبار[١٨٣]: «كتب على باب سجن: هذه منازل البلوى، وقبور الأحياء، وتجربة الصديق، وشماتة الأعداء».

وقال بعض المسجونين يصور الشدة التي هو فيها[١٨٤]:

إلى اللهِ أَشْكُو إنَّه مَوْضِعُ الشَّكْوَى ... وفي يَدِه كَشْفُ المُصِيْبَةِ والبَلْوَى

خَرَجْنا من الدّنيا ونَحْنُ مِنَ اهْلِهَا ... فَلَسْنَا من الأَحْيَاءِ فيها ولا المَوْتَى

إِذَا جَاءَنا السَّجّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ ... عَجِبْنَا وقُلْنا: جاءَ هَذا من الدُّنْيَا

وتُعْجِبُنا الرُّؤيا، فجُلُّ حَدِيثِنا ... إذا نَحْنُ أَصْبَحْنَا،الحَدِيثُ عن الرُّؤْيا

فإنْ حَسُنَتْ لم تَأْتِ عَجْلى وَأَبْطَأَتْ ... وإنْ قَبُحَتْ لم تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجْلَى

ويلخص آخر مصائب السجن وشدائده، بقوله[١٨٥]:

أَسِجْنٌ وَقَيْدٌ واغْتِرَابٌ وَعُسْرَةٌ ... وَفَقْدُ حَبِيْبٍ إنَّ ذَا لعظِيْمُ

ويتوسل الفرزدق إلى خالد بن عبدالله ليخرجه من السجن، ويفكّ عنه قيوده التي أهمته وأغمته، فيقول[١٨٦]:

وإنّي لأَرْجُو خالِدًا أَنْ يَفُكَّني ... ويُطْلِقَ عَني مُقْفَلاتِ الحَدائِدِ

---

[١٨٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٤٩.

[١٨٤] المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٢.

[١٨٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ١٥٢.

[١٨٦] المصدر نفسه، ج١، ص ١٥١.

www.mtenback.com

فإنْ يَكُ قَيْـدي ردَّ همّـي فَرُبَّمـا ... تَناوَلْتُ أَطْرَافَ الهُمُـومِ الأبَـاعِدِ
ومَا مِنْ بَـلاءٍ غَـيْرَ كُـلِّ عَشـيَّةٍ ... وكلّ صَبَـاحٍ زائـرٍ غـيرِ عـائدِ

وحُكِيَ(١٨٧) أنَّ الحجاج حبس رجلاً ظلمًا، فكتب إليه رقعة فيها: قد مَضَى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بينة وكتب في أخرى:

سَـتَعْلَمُ يـا نَـؤُومُ إذا التَقَيْنَـا ... غدًا عِنْـدَ الإلَـهِ مَـنِ الظَّلُـومُ
أَمَـا واللهِ إنَّ الظُّلْـمَ لُـؤْمٌ ... ومـازَالَ الظَّلُـومُ هُـو المَلُـومُ
سَـيَنْقَطِعُ التَّلـذُّذُ عَـن أُنَـاسٍ ... أدامُـوهُ ويَنْقَطِـعُ النَّعِيـمُ
إلى دَيَّـانِ يَـومِ الدّيـنِ نَمْضِـي ... وَعِنْـدَ اللهِ تَجْتَمِـعُ الخُصُـومُ

فما دام السجن بهذه الشدة، ويسبب لزواره ضيقًا نفسيًا وجسديًا حتى إنه يعدُّ قبرًا للأحياء، فإن السعي للإفراج عن السجين عندما يكون مظلومًا، يعد عملاً نبيلاً لأن فيه كشف الغمة عن إنسان بريء، وإعادة الحرية له، والحرية أغلى ما يملكه الإنسان لأنَّها تعبير عن إنسانيته وكرامته.

والسجين يعدُّ في كربة شديدة، وضيق وهم يلازمانه ليل نهار، وقد يكون له أسرة لا معيل لها إلا هو. فإنهم أيضًا يعيشون في ضائقة مادية ونفسية، ففي الإفراج عنه إفراج عنهم جميعًا وفي إدخال السرور إلى قلبه، إدخال السرور والسعادة إليهم جميعًا.

ومن طريف ما يروى في هذا الباب أن الرشيد حبس أبا العتاهية، فكتب إليه من الحبس بأبياتٍ منها(١٨٨):

---

(١٨٧) الأبشيهي: المستطرف، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(١٨٨) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج ١، ص ١٥٣.

www.mtenback.com

تَفْديكَ نَفْسِيَ مِن كُلِّ مَا كَرِهَـــتْ   نَفْسُكَ إن كنــتُ مُذْنِبًــا فــاغْفِرْ
يا لَيْتَ قَلْبِـــي مُصَــوَّرٌ لَــكَ مَــا   فِيــهِ لِتَسْــتَيْقِنَ الَّــذِي أُضْمِــرْ

فوقع الرشيد في رقعته: لا بأس عليك. فأعاد عليه رقعة أخرى فيها:

كَــأَنَّ الخَلْــقَ رُكِّــبَ فيــه رُوحٌ   لَــهُ جَسَــدٌ وَأَنْــتَ عليــه رَأسُ
أَمِــينَ اللهِ، إنَّ الحَبْــسَ بَــأْسٌ   وَقَدْ وَقَّعْتَ: لَيْــسَ عَلَيْــكَ بَــأْسُ

فأمر بإطلاقه.

ومن التفريج عن المساجين زيارتهم في سجنهم، لأن في ذلك إيناسًا وتسلية لهم، وتخفيفًا من عذاب السجن والعزلة عن العالم، وتبديدًا للوحشة التي هم فيها، كان سعيد بن عمرو مؤاخيًا ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر بن عبد العزيز يزيدَ، ومنع الدخول عليه، أتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين، لي على يزيد خمسون ألف درهم، وقد حُلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فاقتضيه. فأذن له فدخل عليه، فسر به يزيد[١٨٩].

عون الخادم والمملوك:

فئة المماليك والخدم، فئة مستضعفة، فقدت كثيرًا من مقومات الحياة الحرة الكريمة، ففقدوا بذلك جزءًا عظيمًا من إنسانيتهم، فشعور الذل والهوان والدونية لا يفارقهم، فهم يعانون من المتاعب الجسدية الشيء الكثير، ومن الآلام النفسية الشيء الأكثر. فهم غالبًا ما يعاملون معاملة قاسية فيكلفون بالأعمال الشاقة، ويعملون ساعات طويلة بلا رحمة ولا شفقة، وكثير منهم لا يأكل إلاّ أسوأ الطعام، ولا يلبس إلاّ أردأ الثياب وأخشنها، وقد يُشتمون ويُضربون ويعاملون معاملة لا إنسانية.

---

[١٨٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٤٦٦-٤٦٧.

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com

ولهذا كان الوقوف إلى جانبهم، ومد يد العون والمساعدة لهم، والتخفيف من معاناتهم الجسدية والنفسية، من أفضل الأعمال، وأجل الأفعال وأشرفها، لأن فيها رفعًا لروحهم المعنوية، وإشعاراً لهم بإنسانيتهم. فنحن وهم سواء في ذلك.

وأفضل عمل يقوم به الإنسان تجاه العبيد والإماء هو السعي في تحريرهم من الرق، وفك رقابهم وعتقها من العبودية، وإعادة الحرية لهم، بل إعادة الإنسانية إليهم، ولعل هذا العمل يعدُّ من أسمى أنواع تفريج الكربات. وأكثرها فائدة ونفعًا.

ولهذا اهتم الإسلام بهذه الفئة اهتمامًا عمليًا، إذ خصص جزءًا من موارد الزكاة لتحرير العبيد والإماء من رق العبودية، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٩٠).

وعدَّ تحرير الرقاب من أعمال البر، فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...﴾(١٩١).

كما جعل تحرير الرقاب كفارةً لبعض الذنوب والآثام، قال تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾(١٩٢).

---

(١٩٠) سورة التوبة: ٦٠.

(١٩١) سورة البقرة: ١٧٧.

(١٩٢) سورة المائدة: ٨٩، وانظر أيضاً: سورة النساء: ٩٢، وسورة المجادلة: ٣.

www.mtenback.com

وجعل أيضًا تحرير الرقاب من الأعمال التي تساعد على اجتياز العقبات الكأداء يوم القيامة، فقال: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[١٩٣].

وجاءت الأحاديث الشريفة لتحث على هذا العمل النبيل، وترتب عليه الثواب العظيم، فقال الرسول عليه السلام: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار»[١٩٤].

وأوصى الرسول عليه السلام بمعاملة المملوك معاملة حسنة، وحذر من ضربه أو لطمه، وجعل كفارة ذلك إعتاقه. فقال: «من لطم مملوكه أو ضربه، فكفارته أن يعتقه»[١٩٥].

وكذلك أوصى عليه السلام بحسن معاملة الخدم والرفق بهم، وعدم احتقارهم أو حتى نهرهم. جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله: كم أعفو عن الخادم؟ قال: «كلَّ يوم سبعين مرة»[١٩٦]. وكان عليه السلام قدوة في حسن معاملة الخدم. قال أنس رضي: «خدمت النبيَّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت»[١٩٧].

فمكارم الأخلاق تقضي بالإحسان إلى الخدم والرفق بهم وإكرامهم، فهم بشرٌ مثلنا، لهم مشاعرهم وأحاسيسهم وكرامتهم، فيجب أن يعاملوا معاملة رحيمة، فيها الكثير من اللطف والإنسانية وأن يقدم لهم الطعام الجيد واللباس الحسن. ولا يكلفون من العمال فوق طاقتهم وقدرتهم.

---

[١٩٣] سورة البلد: ١١-١٣.

[١٩٤] البخاري: صحيح البخاري، ص ١٢٨١ رقم (٦٧١٥).

[١٩٥] مسلم: صحيح مسلم، م ٣، ج ٥، ص ٩٠.

[١٩٦] الحسيني: تهذيب الأخلاق، ص ٩٣.

[١٩٧] البخاري: صحيح البخاري، ص ١١٦٨ رقم (٦٠٣٨).

www.mtenback.com

إنَّ تفريج الكربات أمر تمليه مكارم الأخلاق، وتعاليم الإسلام السمحة، ومساعدتهم وتفريج ماهم فيه من شدة وضيق، يعود بالنفع العميم والخير الوفير على المجتمع بأسره، فالفقير الذي تمدُّ له يد العون قد يصبح غنيًا، فيفيد المجتمع.

والمريض الذي يُعالج، ربما يعافى، فيصبح قويًا قادرًا على العمل والكسب، واليتيم الذي يعتنى به، ويرعى الرعاية الصحيحة، يغدو عضوًا نافعًا في المجتمع، والسجين الذي يفرج عنه غالبًا ما يخرج من سجنه وقد تغيَّرت نظرته إلى الحياة، تغيّرًا إيجابيًا، فيعود إلى جادة الصواب.

فهؤلاء الضعفاء والمكروبون يمكن تحويلهم إلى ثروة كبيرة للأمة إذا أحسن التعامل معهم إبّان ضعفهم وكربهم، وقد يكونون أقدر من غيرهم في خدمة المجتمع، نتيجة تجاربهم الطويلة في الحياة، ومما استخلصوه من عبر.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرتضى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَة... الآية﴾	١٨٤	٣٤
	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُل...الآية﴾	٢١٥	٣٥
	﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا...الآية﴾	٢٧٣	٤٠
	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ... الآية﴾	١٧٧	٧٠
	﴿وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ... الآية﴾	٢٣٧	٢٥
آل عمران	﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ... الآية﴾	١٤٠	٩
النساء	﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا... الآية﴾	٢	٤٧
	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا... الآية﴾	١٠	٤٧
	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا... الآية﴾	٣٦	٤٧
المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى... الآية﴾	٢	٢٥
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ... الآية﴾	٨	٦٠
	﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ... الآية﴾	٨٩	٧٠
الأنعام	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ... الآية﴾	١٥٢	٦٠
الأعراف	﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ... الآية﴾	٤٤	٦٣
التوبة	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ... الآية﴾	٦٠	٧٠
هود	﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ... الآية﴾	١٨	٥٩
إبراهيم	﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً... الآية﴾	٤٢	٥٩
الإسراء	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه... الآية﴾	٢٣-٢٤	٥٨
	﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ... الآية﴾	٣٤	٤٧
الكهف	﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا... الآية﴾	٢٩	٥٨
الحج	﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ... الآية﴾	٢٨	٣٤

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الشعراء	﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ... الآية﴾	٢٢٧	٥٨
لقمان	﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ... الآية﴾	٢٠	١٢
الشورى	﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ... الآية﴾	٢٨	١٠
الزخرف	﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. الآية﴾	٣٢	١١
الحشر	﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ... الآية﴾	٩	٣٠
التغابن	﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ... الآية﴾	١٦	٣٨
الطلاق	﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا... الآية﴾	٧	٩
الإنسان	﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ..... الآية﴾	٨	٣٠
البلد	﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ... الآية﴾	١٣	٧١
الضحى	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ... الآية﴾	٩	٤٦
الشرح	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا... الآية﴾	٥	٩
	﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا... الآية﴾	٦	٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«اتّق دعوة المظلوم»	٥٩
«اتقوا الظلم»	٣٧
«إدخال السرور على المؤمن»	٣١
«استوصوا بالأسارى خيراً»	٦٦
«اعلم أن النصر مع الصبر»	١٠
«اللهم رحمتك أرجو...»	١١
«أمرنا النبي بسبع ونهانا عن سبع...»	٦٠
«امسح رأس اليتيم...»	٤٩
«أنا وكافل اليتيم...»	٤٨
«إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه»	٦١
«إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يابن آدم مرضت فلم تعدني...»	٥٤
«إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذي الشيبة المسلم»	٥٧
«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»	٦٠
«إن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن...»	٤٩
«تطعم الطعام، وتقرأ السلام...»	٣٦
«الخلق كلهم عيال الله...»	٢٦
«خير بيت المسلمين بيت فيه يتيم...»	٤٨
«حق المسلم على المسلم خمس...»	٥٣
«الساعي علي الأرملة والمسكين كالمجاهد...»	٥٠
«الظلم ظلمات...»	٥٩
فكوا العاني...»	٦٦
فهل لك من والديك أحد...»	٥٨

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«كلّ يوم سبعين مرة»	٧١
«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه...»	٣٧
«لا يدخل الجنة إلاّ رحيم»	٣٥
«لا يُرحم من لا يرحم الناس»	٥٥
«لو كان العسر في جحر...»	١٠
«المؤمن للمؤمن كالبنيان...»	١٤
«ما أكرم شاب شيخاً لسنه...»	٥٧
«مثل المؤمنين في توادهم...»	١٤
«المسلم أخو المسلم...»	٢٥
«من آوى يتيماً إلى طعامه...»	٤٨
«من أطعم جائعاً...»	٣٥
«من أعتق رقبة مسلمة...»	٧١
«من أغاث ملهوفاً...»	٣١
«من أهتبل جوعة مسلم...»	٣٦
«من قاد أعمى...»	٥٥
«من لطم مملوكه أو ضربهُ...»	٧١
«من مسح على رأس يتيم...»	٤٨
«من مشى في عون أخيه...»	٢٦
«وبصرك للرجل...»	٥٥
«وعودوا المريض...»	٥٣-٥٤
«والله في عون العبد...»	٢٥
«والله تعالى يحب إغاثة الملهوف»	٣١
«ياحي ياقيوم...»	١١

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ى ـــ		
إلى الله	البلوى	–	٥	٦٧
		ـــ ء ـــ		
والذي	عطاءُ	ابن قيس الرقيات	١	٢٩
ليس	العطاءِ	بشار بن برد	١	٢٨
		ـــ ب ـــ		
أما من	معد يكربْ	–	٤	٢٢
سيفتح	الصعابُ	الإمام الشافعي	٣	٩
إذا اشتملت	الرحيب	أبو حاتم	٥	١٦
عسى	قريبُ	–	٢	١٩
من غير	سببِ	أبو تمام	١	٢٨
		ـــ ت ـــ		
رأي	تجلّت	–	١	٤٠
		ـــ ج ـــ		
إذا الحادثات	المهجْ	منصور الفقيه	٢	١٥
لا أحسب	الودجا	عبد الله بن الزبير	٢	١٧
إن الأمور	ما ارتتجا	محمد بن بشير	٣	١٨
ولربَّ	المخرجُ	إبراهيم بن العباس	٢	١٥
كن	راجِ	–	٤	١٨
يا مستجيب	الداجي	القاضي الأريب	٣	٢١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
— د —				
إنّما الدنيا	مسرّدة	أبو العتاهية	٢	١٨
إنّي	واحدُ	عروة بن الورد	٣	٤٠
لا يؤيسنّك	الأنكدُ	علي بن الجهم	٢	٢٠
وما هذه	فتزودِ	أعرابي	٢	٢٧
وإنّي	الحدائدِ	الفرزدق	٣	٦٧
كسوب	المهندِ	الحطيئة	١	٤٥
وكيف	والجهدِ	—	١	٤١
— ر —				
فيومٌ	نُسَرْ	—	١	٩
تفديك	فاغفر	أبو العتاهية	٢	٦٩
عسى	أمرُ	أبو محجن الثقفي	٣	٢٠
إذا طارقات	عاكرُ	ابن عباس	٤	٢٨
ومستنبح	وستورها	عوف بن الأحوص	٦	٣٩
فككت	جحدرِ	حاتم الطائي	٢	٦٥
فلا تجزعي	بالفجر	—	٣	٢٠
— س —				
من يعمل	الناس	الحطيئة	١	٢٦
كأن الخلق	رأس	أبو العتاهية	٢	٦٩
— ص —				
تبيتون	خمائصا	الأعشى	١	٤١

موقع الدكتور متنبك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ض ـ		
وكن	القضا	ـ	٣	٢١
		ـ ع ـ		
لعمري	جائعا	أم حاتم الطائي	٣	٢٤
ولا ما ترون	الطبائعا	أم حاتم الطائي	١	٢٩
إنّ امرأً	فاصطنع	حاتم الطائي	١	٦٥
		ـ ق ـ		
كم عالمٍ	مرزوقا	المعري	١	٣٣
		ـ ك ـ		
أعدي	لعيالك	ـ	٢	٤٠
		ـ ل ـ		
ألا هل	سبيل	يحيى بن طالب الحنفي	٣	٢٣
هي شدة	العاجلِ	جعفر بن شمس الخلافة	٢	١٩
صبرٍ	المحتال	ـ	٣	١٧
ربّما	العقال	ـ	١	٧
وأبيض	للأراملِ	أبو طالب بن عبد المطلب	٢	٤٩
وأرملة	الهزالِ	زرعة بن عمرو	٢	٥١
إنّي	المالِ	عبد الله بن جدعان	٢	٢٩
		ـ م ـ		
الناس	خدمُ	المعري	١	١٢
أسجنٌ	العظيم	ـ	١	٦٧
ستعلم	الظلوم	ـ	٤	٦٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
قد	بالنعم	–	١	٢١
دعيني	اللئام	معن بن زائدة	١	٤٤
ـــ ن ـــ				
قوم	ووحدانا	–	٢	٦٠
ـــ ي ـــ				
ألا لا تلوماني	ليا	عبد يغوث الحارثي	٨	٦٤

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«اشتدي أزمة تنفرجي»	١٥
«أفضل العدة الصبر مع الشدة»	١٨
«بذل الجاه زكاة الشرف»	٦١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي، محمد أحمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

إدريس، محمد:

وصايا الرسول، منشورات دار الحكمة، بيروت، دمشق.

الأصبهاني، أبو الفرج:

الأغاني، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

باشا، عبد الرحمن رأفت:

صور من حياة الصحابة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الباني، محمد بشير الباني:

البناء الأخلاقي، مطبعة العلم، دمشق ١٣٨٤هـ/١٩٩٥م.

البخاري، محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

البصري، علي بن أبي الفرج:

الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت ط٣ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

البيهقي، أحمد بن الحسين:

الآداب، تحقيق: عبد القدوس محمد نذير، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

www.mtenback.com

التبريزي، يحيى بن علي:

شرح ديوان الحماسة، عالم الكتب، بيروت.

التنوخي، الحسن بن أبي القاسم:

الفرج بعد الشدة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مكتبة المثنى، بغداد.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي:

تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شوحان، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة التراث، دير الزور.

حبنكة، عبد الرحمن حسن:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، بيروت ط١ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الحطيئة:

ديوان الحطيئة، شرح: يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط١ ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن حمدون، محمد بن الحسن:

التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، وبكر عباس، بيروت، دار صادر.

أبو حيان، محمد بن يوسف:

البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

خالد، خالد محمد:

بين يدي عمر، مكتبة مصر، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م.

www.mtenback.com

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد:

مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا، الفرج بعد الشدة، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

رضا، محمد:

ذو النورين، عثمان بن عفان: دار الكتب الثقافية، بيروت.

الزمخشري، محمود بن عمر:

ربيع الأبرار، ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بغداد، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.

السيوطي، جلال الدين:

- الأرج في الفرج، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٤.

الشيخ، عبد الستار:

عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين، أعلام الإسلام، دار القلم، دمشق.

ابن عبد ربه:

العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

ابن عبد الحكم، عبد الله:

الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، تحقيق: أحمد عبيد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.

www.mtenback.com

عقيلان، أحمد فرج:

أبطال ومواقف، دار الفرج الدولية، ط١، ١٤١٥هـ/١٤٩٥.

علي بن أبي طالب:

نهج البلاغة، ضبطه: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢ ١٩٨٢م.

الغزالي، أبو حامد:

مكاشفة القلوب، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة بيروت.

الفيومي، أحمد بن محمد:

المصباح المنير.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:

عيون الأخبار، شرح وتعليق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.

القرطبي، يوسف بن عبد الله:

بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير:

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض ط١ ١٩٦٦م.

www.mtenback.com

كرد علي، محمد:

- رسائل البلغاء، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٤ ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
- لجنة من رجال وزارة المعارف العمومية، تعريف القدماء بأبي العلاء، مطبعة دارالكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٣هـ/١٩٤٩م.

الماوردي، علي بن محمد:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

المعري، أبو العلاء:

لزوم ما لايلزم، شرح: نديم عدي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ط٢ ١٩٨٨م.

ابن ميمون، محمد بن المبارك:

منتهى الطلب في أشعار العرب، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، يصدرها فؤاد سزكين، طبع بالتصوير، مكتبة السليمانية إستانبول.

الوصيفي، عبد الرحمن محمد:

المستدرك في شعر بني عامر، إصدارات نادي المدينة الأدبي.

النمر بن تولب:

شعر النمر بن تولب، صنعه: نوري حمودي القيسي مطبعة المعارف، بغداد.

النووي، يحيى بن شرف:

رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

www.mtenback.com

ابن هشام:

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com